



تأليف: برنار كلافيل
ترجمة: خليل كلفت

Twitter: @alqareah
29.12.2015

أساطير البحر 1094

أساطير البحر

تأليف : برنار كلافيل

ترجمة : خليل كلفت



٢٠٠٧

المشروع القومي للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٠٩٤
- أساطير البحر
- برنار كلافيل
- خليل كلفت
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب

Légendes de la mer

De : Bernard Clavel

© 2006 Hachette Livre

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة.

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Galalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

كلافيل ، برنار

أساطير البحر، تأليف : برنار كلافيل ، ترجمة : خليل كلفت ، ط ١ -
القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٧

٢٠٠ ص ، ١٤ x ٢٠ سم ، المشروع القومي للترجمة

١ - القصص الفرنسية

٢ - قصص الأطفال

أ - كلفت ، خليل (مترجم) ب - العنوان

٨٤٣

ج - السلسلة

الترقيم الدولي : I.S.B.N - 977- 434 -240-9

رقم الإيداع ٢٠٠٧ / ٥٥٥٠

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

9مقدمة
13الابن السابع لصياد السمك البريتونى (فرنسا)
25كنز جزيرة فردينانديا (صقلية)
35ابنة جنى الأمواج (الجزائر)
45ساحرات پنييسكولا (إسبانيا)
55ثلاث ربطات من الخشب (النرويج)
67عجول البحر (آيسلندا)
75رحلة الملك سوران (الأرخيل الهندى)
85سمك القرش فى تا،أروا (تاهايتى)
93صياد السمك ذو الشباب الدائم (اليابان)
105جلاوكوس وسيلا (اليونان)
115ملكة بحر البلطيق (ليتوانيا)
123سرّ المدّ والجزر (الجزر الأنجلو نورماندية)
131جنى جبل تان فيين (فثييتنام)
141صياد ورق الشجر (ألبانيا)
149الشحاذ الجميل وروح اللاكئ (ألمانيا)

- 161ناس قاع البحار (البرازيل)
- 169بجع البحر (أيرلندا)
- 179مدينة تحت الماء (هولندا)
- 189شيخ البحر (سيبيريا)

إهداء المؤلف

Pour Geneviève

لـ جينيفيف

مقدمة

عندما قررت افتتاح هذه السلسلة من الحكايات والأساطير بمجموعة مخصصة للأنهار والبحيرات^(*) فمما لا شك فيه أنني كنت بحاجة، في سبيل أن ألمس شاطئ العجائب الخارقة، إلى أن أتمسك بحقائق طفولتي. ومنطقة جبال جورا Le Jura هي بلاد السيول، والمستنقعات، والبحيرات، وقد أشبعت، بالبدء من هناك، الحاجة التي بقيت بداخلي بأن أتعلق كلياً بما يشكل أساس ثقافتى.

ولكن يبقى أننى، على هذه الأرض التي تقع بعيداً جداً عن البحار، عرفت أيضاً الحلم، وأنه في هذا الحلم كان للبحر مكانه. وفي تلك الأوقات حيث لم تكن الذاكرة المنتعشة قد تقدمت بعد نحو القطع الأدبية والكتابة، كنت أقضى ساعات طويلة في تخيل المحيطات التي لم يرها أحد مطلقاً. وبعيداً عن البحر، خلال أعوام، حلمت بأموج، بمد البحر وجزره، وبأشعة، وبرحلات بحرية إلى جُزُرٍ شبيهة

^(*) انظر: أساطير البحيرات والأنهار ضمن مطبوعات المشروع القومي للترجمة. (المترجم).

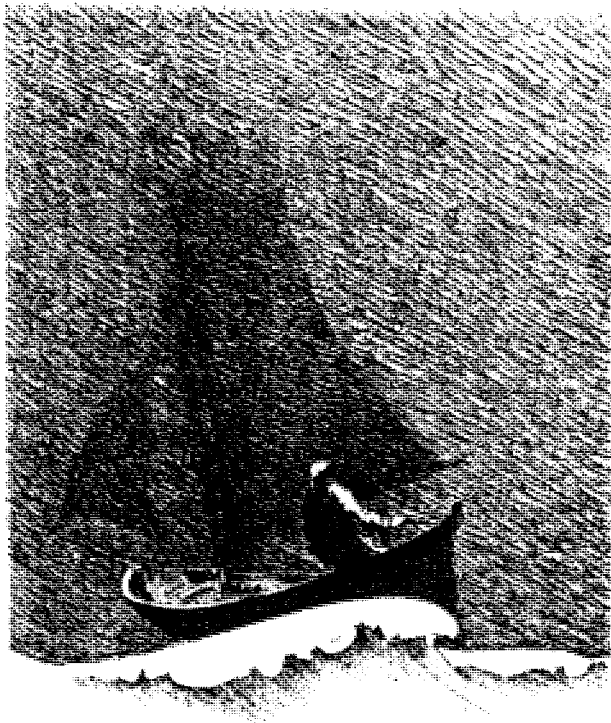
برحلة الجمعة الحزينة. وكانت شجرة بلوط عجوز مقطوعة الفروع،
فى أسفلها مياه سوداء آسنة فى حوض كبير فى غابة، هى بالتناوب
غواصتى وسفينتى ذات الصوارى الثلاثة. ومن السطح الأعلى
لسفينتى كنت أشرف على الحديقة التى كانت الرياح فيها تدفع أمواج
أوراق الشجر. وفيما كان يتقاذفه هذا الخليط المشوش من الأمواج
الصاخبة، ويستحوذ عليه مدّ الفاصوليا المدفوعة بالمجداف، كان أبى
— دافعا عربته الصغيرة — صياد سمك آيسلندى يقاوم عناصر
الطبيعة الجامحة على ظهر مركب مثير للسخرية.

بعد ذلك بكثير، عندما اكتشفت البحر، قطع أنفاسى. كان أسطع
وأضخم أيضا من عالم الأحلام، حتى إذا كان لا يعرض على الأنظار
كل عناصر الدراما. واليوم كلما لقيته جذبنى وأخافنى. ومع أنه مُغو
للغاية فإنه لا يظل أقل خطرا فى نظرى، وإذا لم تكن الأساطير قد
دفعتنى إلى هناك وهى تطمئننى على دعمها فإننى لم أكن لأجرؤ
مطلقا بالطبع على أن أخصص له سطرا.

غير أن أسرار المحيطات تتحول عندما يكون أبطال الأساطير
هم الذين يأخذونك من يدك لخدمتك كدليل.

وبالتالى فإننى عندما أقرب مرة أخرى من الأطفال فإنما مع
طفولتى نفسها أرتبط من جديد. لقد دفعنى عطشى للحلم ورغبتى فى

الهرب نحو عرض البحر حيث يفتح عالم خفيّ من القاع العميق.
وتهب رياح المغامرة في اتجاه الشواطئ من أجل أولئك الذين يقيمون
في البر، وأحلام اليقظة المبتهجة، مثل باخرة، هي الزورق الصغير
الذي نركبه.



وربما، عندما نكتشف عالم المياه هذا، يكون من الجدير بنا أن نتذكر أنه الوسط الأكثر اكتظاظا بالحياة ولكن أيضا تعرضا للأخطار. فالعلماء هم الذين يصيرون المستكشفين الحقيقيين، وأولئك الذين التقيت بهم في مرصد البحر في جزيرة أنبييه l'Observatoire de la Mer l'île des Embiez كثير من الأحيان وكانهم شعراء. إنهم أيضا يريدون أن يروا الشباب يقتربون من أسرار المحيط وأن يعملوا في سبيل أن يظل هذا العالم مليئا بالحياة.

والحقائق الكائنة تحت الماء، التي جرى منذ وقت طويل تخيلها قبل أن يتم اكتشافها، سوف تخبئ جانبا من السرّ بقدر ما يبقى البحر حيا. وينبغي أن نأمل أنه سيبقى حيا دائما لأسباب تتعلق بالتوازن البيولوجي، ولكن أيضا لأن هذا الواقع هو خبز أحلامنا.

أضف إلى هذا أن الحلم يلد الحدث أو يحدد الفعل، وعندما يغوص علماء الأحياء ويعملون لإنقاذ نوع أحيائي فهذا لأنهم يحملون بداخلهم حب الحياة والإيمان الذي كان يحرك الجن الذين كانوا حماة الأسماك، والدرافيل، وعجول البحر، أبطال أساطيرنا.

برنار كلافيل

الابن السابع لصياد السمك البريتونى (فرنسا)

فى أودبيرن، عاش قديما صياد سمك فقير جدا كان يجد صعوبة كبيرة فى إطعام أطفاله الستة. ومثل كل صيادى السمك البريتونيين كان يحب المحيط، غير أن المحيط ليس دائما صديقا سهلا. وقد عرف البحارة الحقيقيون هذا منذ أجيال، إذ يحدث أنهم يفاجأون بغضبه. والواقع أن صاحبنا صياد السمك، وكان اسمه يان، كان من بين الأكثر جرأة، وحدث مرارا وتكرارا، أنه أشرف على الموت ليكون أقرب ما يكون إلى الصخور التى يتعلق بها السمك أثناء الأمواج.

"إذا لم تترك هنا قاربك ولا هيكلك العظمى نفسه، قال له الشيوخ، فإنك ستنتهى بالفعل إلى أن تترك هناك شباكك على الأقل". ولم يكن يان ممن يستخفون بحكمة القدماء، ولكن، لأنه كان يحتاج إلى كسب الخبز لذويه، حدث له أن نسى الخطر.

وفى العهد الذى تبدأ فيه هذه القصة، كان يان أكثر حماساً فى عمله لا سيما وأنه صار أباً لطفل سابع. وبالفعل فى المنزل الصغير الذى عاش فيه على المرسى، كانت زوجته تقوم بإعداد المهد واللفافات.

غير أنه ذات صباح فيما كان يصطاد السمك بين جزيرة سين ومنارة لا قياى، اعتقد يان المسكين أن شبكته تعلقت بصخرة، وأنها ستضيع. ولم تكن التيارات والدوامات، العنيفة دوماً قبالة پوانت دى را، لتقوم بتسهيل المناورة. وعلاوة على هذا فإن عاصفة بدت وكأنها تهب على خليج تريباسيه، دفعت القارب نحو صخور الشط التى تحيط بالمنارة. وفى لحظة اعتقد يان أنه هلك؛ وفيما كان يتخلى عن شبكته ليحاول إنقاذ قاربه على الأقل، هدأت العاصفة وارتفعت الشبكة أخيراً. وكانت ثقيلة جداً، وغرق صياد السمك كثيراً ليشدها إلى الشاطئ. وفرح بالفعل معتقداً أنها تحتوى بلا شك على كمية كبيرة من الأسماك، عندما ظهر على سطح البحر وجه امرأة، يحيط به شعر طويل شديد النعومة وطحالب شقراء مضيئة.

خائفاً قبل كل شيء، بدأ يان يفهم أنه أسر جنية بحر. والآن، إذا سحب إلى البر أحد هذه الكائنات الغريبة التى يسمع عنها الجميع ولم يرها أحد مطلقاً فإن حظه سيكون أكيدا.



أسر "يان" جنية البحر

غير أن المرأة ذات العينين بلون أعماق البحر كان لها صوت
ذو عذوبة لا حدود لها. وباللغة البريتونية، وبلا أدنى قدر من النبرة
الأجنبية، قالت:

"يان، أنت رجل شجاع. إننى أتوسل إليك ألا تذهب بى إلى
البر. هناك سأكون أتعس منك فى أعماق البحر. لا ترتكب عملا
سيئا فى اليوم الذى ولد فيه طفلك السابع منذ قليل."
"ماذا تقولين؟" سأل صياد السمك.

"بالتأكيد، أنت لا تعرف هذا بعد، غير أن الطفل الذى تنتظره
وُلد منذ أكثر قليلا من الساعة. وأستطيع حتى أن أقول لك إنه رضيع
جميل".

ولأن يان لم يكن عازما على إطلاق سراح جنية البحر
أضافت هذه الأخيرة:

"اصغ إلىّ، سأعرض عليك صفقة. عندك سبعة أطفال وليس
لى أطفال. سأعطيك قطعة من الذهب ستضعها فى مدخنتك. وهى
قطعة سحرية. وكل صباح، ستجد قطعة أخرى إلى جانبها. وسوف
يسمح لك هذا الذهب بإطعام أسرتك دون أن تعمل، لكنك سوف

تعدنى بأن تعطينى رضيعك المولود منذ قليل. وغدا صباحا، سوف تحضر لى الطفل. سوف أنتظرك أسفل خليج تريباسيه".

وعندما رأى قطعة الذهب التى مدتها له جنية البحر، وعد يان قائلا لنفسه إن القطعة الذهبية من الجيد أخذها دائما، وإن الوعد الذى نعد به كائنا من هذا النوع ليست له أهمية كبرى. وأطلق سراح جنية البحر، وطوى الشراع وعاد إلى المرسى.

الوليد الجديد كان فى حالة ممتازة. كان مليئا بالحياة وسماه والده إيغون. وبطبيعة الحال، وضع يان قطعة الذهب على أرض الموقد، غير أنه كان يحرس ابنه. ومنذ ذلك الحين، لم يعد يصطاد السمك إلا لمتعته لأنه كل صباح كان يجد قطعة ذهب بجوار الرماد البارد. ولأولئك الذين اندهشوا برؤيته يعيش أفضل ويعمل أقل، قال إن زوجته ورثت عمة عجوزا، أصلها من تريجاستيل.

غير أن يان كان يخشى أن يلتقى بجنية البحر، وكان يتجنب الذهاب لصيد السمك فى مضيق السين. غير أن جنية البحر، غاضبة لخداعها، انتهت إلى العثور عليه فيما كان يبحر فى عرض سان-جينوليه. كان البحر هادئا وكانت الشمس تتحدر فى الأفق عندما ظهرت على مسافة عدة أمطار من القارب وهب نسيم خفيف ببطء على المرسى.

"أنت تلاعبت بي! هاجمت صياد السمك. لكننى أتنبأ لك بأنه ذات يوم سيكون لى!"

لم يكن لدى يان الوقت لكى ينبس بكلمة قبل أن يجد جنينة البحر قد اختفت. قلق جدا، عاد إلى بيته وأوصى زوجته والابن الأكبر سنا من أولاده أن يحرسوا الصغير إيفون جيدا.

وعلى هذا النحو كبر ابن صياد السمك فى مرسى دون أن يكون له فى يوم من الأيام الحق فى ركوب قارب. وكل الحب الذى يحمله الأطفال الذين تربوا قريبا من الشواطئ لأشياء البحر كرسه لأشياء البر. ومتجولا فى الأرض، تعلم أن يحب النباتات، والحيوانات، وبصورة خاصة، الطيور.

وعندما كان فى الثانية عشرة من عمره، أتى ذات مساء لإنقاذ صقر وقع فى شرك. ومتأثرا بهذه البادرة، قال له الطائر الكبير:

"أنت ولد طيب جدا، وكل الكائنات الحية لن تكون مثلك. الطيبة لا يُجازى عنها دائما، لكننى، لكى أشكرك، سأعطيك القدرة على تغيير نفسك إلى صقر عندما تكون فى خطر. فإذا كان عليك أن تهرب ذات يوم، قل ببساطة: "يا صقر، يا صديقى" وسوف تطير

مثلى تماما. فقط، انتبه: عليك ألا تستعمل هذه القدرة إلا فى حالة
الخطر الكبير. ويجب أن تبقى هذه القدرة سرا".

واستمر إيڤون يكبر. ولم ينس لقاءه مع الطائر، لكنه لم يتحدث
عنه مع أى شخص. ولم يخبر عنه حتى يولاند الجميلة التى التقى بها
فى يوم بلوغه التاسعة عشرة من عمره والتى طلب يدها.

كان الشابان سعيدين، وأخذت الأسرتان تقومان بالإعداد
للزفاف. غير أن صياد سمك فى لوكتودى أراد أيضا أن يتزوج من
يولاند. ولكى يتخلص من منافسته، كسب ثقته وبعد أن جعله يشرب
أكثر من المعقول دعاه إلى ركوب قاربه. وساعد خمر التفاح إيڤون
على أن ينسى توصيات والديه واتجه الولدان إلى عرض البحر.
وعندما لم يعد الساحل فى مدى البصر، دفع صياد السمك إيڤون إلى
البحر. فبعد أن كان قد عاش على البر، لم يستطع الولد المسكين أن
يعوم وسقط عموديا. ولكن، فى قاع الماء، كانت جنية البحر التى
انتظرتة منذ حوالى عشرين عاما هناك لإنقاذه.

إيڤون، الذى اعتقد أن ساعته الأخيرة قد جاءت، استعاد وعيه
داخل قصر رائع تحت البحر بأسوار مغطاة بأصداف وقشور متألثة.
وفى هذا المسكن الذى عاش فيه كل شعب الأسماك ذات
الزعانف المضيئة، كانت تقوم بتأمين الخدمة أخطبوطات يمكن أن

تحمل دزينة من الأطباق فى وقت واحد. وكان رئيس الطهارة سرطانا بحريا ضخما كان ماهرا للغاية ولكن غير مريح مطلقا. وفيما يتعلق بحراسة القصر، فقد عُهد بها إلى جيش من أسماك المورينا موضوع تحت أوامر حوت لا يمزح فى أمور النظام. تسلى إيثون بكل هذا خلال أسابيع عدة، ثم قلق على والديه وعلى خطيبته.

"اسمعى، قال لجنة البحر، أنا مسرور كثيرا هنا. الطعام جيد، والجميع لطفاء معى، غير أن الحياة تحت الماء تصيبنى بطنين فى الأذنين وصداع فى الرأس وكل هذا يمنعنى من النوم. فقط إذا استطعت أن أتفس فى الهواء الطلق من وقت لآخر، أعتقد أننى سأكون أسعد البشر".

"فليكن"، أجابت، "سأقوم بتوصيلك إلى سطح المحيط. ولكن أسماك المورينا والقرش سوف ترافقنا. وأحذرك أنه إذا اقترب أبوك بقاربه فإنه سيهلك فى وقت أقل مما يحتاج لأن ينطق بكلمة".

"لا تقلقى إذن"، قال الولد. "إذا رأينا أصغر قارب، سنغوص فى الحال".

ومحمولا على ظهر جنبة البحر التى أحاط بها مرافقوها من الحراس، عاد إيثون إلى سطح الماء. ولم يكن هناك أى قارب يبحر فى تلك النواحي من المحيط غير أن الولد، حالما برز من الماء، همس:

"يا صقر، يا صديقي!"

أما جنية البحر فقد رآته، مذهولة، يتحول إلى طائر ويطير
نحو الشاطئ الصخري. قفز القرش وأسماك المورينا خارج الماء،
ولكن بعد فوات الأوان.



أما جنية البحر فقد رآته ، مذهولة ، يتحول إلى طائر

وبسرعة وصل الصقر إلى الساحل. وبمجرد أن لمس
الصخرة، استعاد هيئته البشرية وانطلق يجرى في اتجاه القرية.

وبالطبع، تزوج من يولاند الجميلة. واستمر الزفاف
أربعة أيام وأربع ليال. أربعة أيام وأربع ليال سمع أثنائها مناسف
إيقون الأغاني وصيحات الابتهاج التي تصل إليه في عمق زنزانة
كانت قد سجنته فيها شرطة أوديرن.



جنيات البحر [السيرينيات] عديدة في الحكايات البرتونية
[نسبة إلى إقليم بريتاني في فرنسا]، مثلما في كل البلدان الواقعة
على حافة البحر. وهذه الكائنات الغريبة، ذات القدرات
الخرافية، يبدو أنها مع ذلك شبيهة من حيث طباعها بالبشر.
وجنية البحر التي التقى بها يان صياد السمك، الحسودة
والحقودة، لا تغفر له خداعه لها، وهي تسعى بلا انقطاع إلى
الانتقام لنفسها منه. ولكن إذا استطعتم أن تكونوا طيبين مع هذه

الكائنات، بعيدا عن أن تكونوا ناكرين للجميل، فإنها تكرر
نفسها لسعادة أصدقائها.

وتحدثنا حكاية بريتونية أخرى عن إحدى جنيات البحر
هذه قامت بتحويل حياة صبي صغير لشكره على أنه أنقذها.
وكان طفلان يصطادان السمك على الصخور، عندما رأيا جنية
بحر تنام على الماء، غير بعيد عن الشاطئ. وانزلق الشريكان
بلا وضوء في البحر وسبحا مع الاحتياط البالغ. أمسكا
بالشعر الطويل الأشقر الذي كان يطفو واقتادا فريستهما إلى
السط.

خارج الماء، توسلت إليهما جنية البحر: "سأموت"، رددت
بلا كلل. وبدأ الصبيان يمعان التفكير. الأكبر سناً أبى إلا أن
يذوق لحم الفقيرة المسكينة، وتمسك بالاستفادة بهذه النعمة.
الثاني، إيغان، كان أكثر كرما. ذلك أنه مليئا بالشفقة اقترح إلقاء
هذه المخلوقة النادرة في البحر. واحتدم جدال. وعرض إيغان
على رفيقه أن يتخلى له عن كل نقوده مقابل حرية جنية البحر.
وتم عقد الصفقة.

ألقت الصديقة الجديدة لإيغان نايًا عند قدمي منقذها، ثم

اختفت فى الأمواج. ولا بد أن هذا الناي كان يسمح للصبي الصغير بأن يدعو جنية البحر عندما يكون فى ضيق.
بعد ذلك بأعوام كثيرة، صار إيفان رُبّاناً. وذات يوم، غرق، ضحية عاصفة مرعبة. عندئذ أخذ نايه ودعا جنية البحر. ظهرت فى الحال، وهى تقود سفينة كبيرة مخصصة لى تحل محل تلك التى فقدتها الشاب. ولم تكن السفينة بحاجة إلى ملاحين، وكانت المناورات تتم كلها من تلقاء نفسها. وأمكن تصليح التجهيزات، وصار الربان - بسرعة بالغة - غنيا جدا بفعل كرم صديقه وعرفانها فى أعماق البحر.

كنز جزيرة فردينانديا

(صقلية)

كانت جينا معروفة لكل البلاد بسوء طبعها. وفي قرية سياكا، عندما تهب الرياح التى تحمل العاصفة، كانوا يقولون عن طيب خاطر:

"هذه رياح سيئة مثل جينا. ولا شك فى أن أولئك الذين كان عليهم أن يعانون منها وسط البحر كانوا يفكرون فى بييسو المسكين، الذى تزوج من هذه المرأة الشريرة"

وبالطبع، كان يقال هذا عندما يكون الناس متأكدين من أنها بعيدة، ذلك أنه لم يكن يخشى هذه المرأة الشرسة سوى البائس بييو.

ولم يكن بييو يملك من الثروة سوى زورقه، وبعض خيوط صنارات الصيد السيئة التى كانت تمزقها فى كثير من الأحيان الأسماك التى لم تكن مع ذلك كبيرة مطلقا. وربما لم يكن صياد سمك حاذقا جدا، ولكن ينبغى القول أيضا إن واقع سماعه لا يكف عن نداء جينا كان لا يعطيه الثقة بنفسه. ومنذ الأعوام العشرة التى تزوجها

فيها، كان سوء الحظ يلاحقه إلى حد أنه انتهى إلى إقناع نفسه بأن المرأة الشرسة كانت ذات عين شريرة.

و ذات يوم، قال له صديقه فتسنزو:

"تلك المرأة كائنة شيطانية. وعليك أن تتخلص منها؛ وإلا

ستنتهي إلى أن تجعل صوابك يطير".

ومنذ تلك اللحظة، بدأ بيبو يعن التفكير. ولأنه لم يكن شخصا

سيئا، فإن فكرة قتل زوجته لم تخطر بباله لحظة واحدة. ولكنه،

عارفا بأنها لم تكن خبيرة جدا في قيادة السفن الشراعية، قال لنفسه

إنه إذا استطاع أن يستدرجها إلى ركوب سفينة بمفردها ذات صباح

تهب فيه رياح البر، ربما ستكون هناك الفرصة لكي تجرفها الأمواج

حتى شواطئ أفريقيا. ولأنه كان يعرف أن جينا كانت راغبة للغاية

في كسب الكثير من المال، قال لها ذات مساء عائدا لتوه إلى المرسى

في جو عاصف:

"لم أت بشيء معي، ولكن لا تضربيني. ليس هذا خطئي،

فالعاصفة فاجأتني..."

ولم يكن لديه وقت ليتحقق من أن زوجته، ممسكة بالمقشة، بدأت

بالفعل في ضربه بشدة:

"توقفي!" تصرع صياد السمك... "عندما تعلمين ماذا اكتشفت، ستدمنين على ضربك لى".

- "ماذا اكتشفت؟ حانة لئسكراً؟"

- "لا، مطلقاً. الزوبعة دفعتنى إلى جزيرة فردينانديا. وهناك، عند زحزحة حجر لإرساء قاربى، اكتشفت كنزاً. غير أن البحر كان هائجا للغاية، وقد تركته خوفاً من أن أفقده أثناء عودتى".

وضعت جينا مقشتها، بل صببت نصف كأس نبيذ لبيبو وبدأ يعطى تدقيقات للمكان الذى يوجد فيه الكنز.

"هذا عظيم"، قالت: "سنذهب للبحث عنه".

وفى الغد، توقفت العاصفة، غير أن بيبو، الذى كان يعرف الوقت جيداً، فهم أنه قبل منتصف اليوم ستهبّ رياح البر خلف الجبل وتتدفع نحو البحر.

"أنت تعرفين" قال: "عاصفة الأمس هذه والضربات التى وجهتها إلى جعلتتى مريضاً. إننى عاجز عن ركوب البحر اليوم".

دمدمت المرأة الشريرة، وهى ترى البحر هادئاً تماماً، قررت الرحيل بمفردها.

وبمجرد أن قامت برفع المرساة، غادر بيبو حصيرته وانصرف إلى المقهى، حيث وجد أصدقاءه.

"ماذا فعلت بامرأتك؟" سأله فتسنزرو.

- أرادت أن تذهب وحدها لصيد السمك. قال بيبو. وهي تزعم أنها ستصطاد عشرة أضعاف السمك الذى اصطاده.

- وأنت تركتها تترك القارب فى حين أن رياح البر تهدد؟ لفت نظره إنريكو. هذا ليس من الحكمة.

- أنت تعرف جيدا ما هو طبعها. لقد فعلت كل شيء لمنعها، لكنها ضربتتى. انظر هنا، انظر إلى ظهري.

خلع صياد السمك قميصه، واستطاع أصدقاؤه أن يروا آثار الضربات التى تلقاها فى عشية ذلك اليوم.

"يمينا، قالوا، إذا أمسكت بها العاصفة فإنها لن تلقى إلا ما تستحق".

فى منتصف النهار، عندما كانت أولى الزواجع تنزل المنحدرات وهى تعوى، وقف بيبو، الذى كان قد أفرغ عددا كبيرا من الزجاجات، مترنحا، ووصل بطريقة ما إلى الرصيف. وفى ذلك الحين تكونت أمواج ثقيلة، دافعة إلى عرض البحر زبدها الفضى.

واكفهرت السماء بسرعة وقبل سقوط الليل كان من الممكن رؤية كتل ضخمة من الماء تتدفق على صخور جزيرة فردينانديا.

وبطبيعة الحال، عادت كل الزوارق إلى المرسى منذ وقت طويل. كلها، إلا قارب بيبو الصغير.

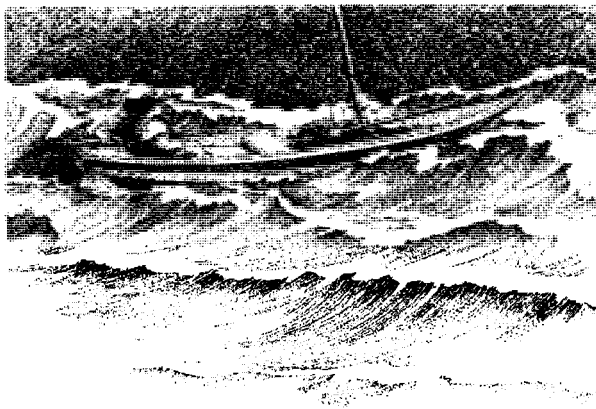
وكممثل كوميدى، أخذ صياد السمك يرثى لحاله:

"كانت تضربنى، قال، لكننى أحببتها كثيرا. أين هى مفقودة،

الآن، وسط هذه العاصفة؟ يا إلهى، إخم مسكيتى جينا واجعلها تعود

إلى!" .

- "الأمر يحتاج إلى معجزة"، قال فنسنزو.



أين فقدت وسط هذه العاصفة ؟

ولكن يحدث أن الإله الطيب يستجيب للصلوات، حتى عندما لا تكون مخصصة. لأن المعجزة تحدث.

مرت أربعة أشهر. أربعة أشهر قضى بيبو خلالها، بعد أن أقام قداسا في سبيل طمأنينة روح جينا، أياما هانئة من حانة إلى أخرى. ثم، في نهاية هذه الأشهر الأربعة، فيما كان عائدا ذات مساء إلى منزله بعد نهار قضاءه في الشرب والغناء، لمح بيبو أمام بابه هيئة ظنها قبل كل شيء شبح جينا. غير أن الصرخات التي مزقت أذنيه والضربات التي تلقاها أعادته إلى رشده بسرعة. لم يكن ما رآه شبعا، بل زوجته بلحمها وعظمها، مفعمة بالحيوية تماما وأكثر شراسة مما كانت في يوم من الأيام.

"آه! أيها التافه، صرخت، لقد كذبت علىّ لتتخلص مني! حسنا، ستدفع الثمن! بل ستدفع ثمنا غاليا جدا..."

هل تريد أن تعرف من أين أتيت الآن؟ هل اعتقدت أنني في الجحيم؟ أنت مخطئ. نعم، غرقت. نعم، زورقك ضاع. لكنني أنا، أنقذني بحارة سفينة متجهة إلى تونس! وقد قمت بالرحلة معهم. رحلة ممتعة جدا في بلاد من الجميل جدا رؤيتها. كل ما في الأمر، أن هذه الرحلات تكلف غاليا جدا. والآن، ينبغي أن ندفع. وأعتقد تماما أنه لن يكفيك طول عمرك لكي تسدد ديونى."

بخضوع تحت الضربات، أخذ ببيو ينتحب:
"لكننى لم أعد أملك قاربا لكى أصيد السمك.

- "صيد السمك"، صرخت المرأة، "سيكون الفردوس، بالنسبة
لك، ولن تأتى أبدا بسمك يكفى لإطعامى وسداد ديونى.
سوف تذهب إلى عمك فى تكسير الحجارة بضربات
المطرقة".

ومنذ فجر اليوم التالى، مضى ببيو فى طريقه إلى عمله.
وهناك، تحت الشمس التى تكوى الجلد وفى الغبار الذى يحرق
الحلق، بدأ يعمل. وحتى نهاية حياته، روى بعرقه الحصى الذى كان
يكسره.

وعلى فترات طويلة، عندما كان ينهض واقفا، ويد على خصره
المؤلم، كان يلمح البحر الأزرق حيث ترقص أشرعة بيضاء شبيهة
بتلك الخاصة بالقارب الذى عرف وهو على متنه أسعد ساعات
حياته.



إذا كانت الحكايات ما تزال تستدعى اسم سكيلا، هذا الوحش الذى تحول إلى صخرة، على حافة مضيق ميسينا، فإن العديد من البحارة كانوا ضحايا هذه الصخرة. وقد ظلت جزر كثيرة شهيرة بسبب الأخطار التى تمثلها.

وليس هذا حال جزيرة فردينانديا، التى لم تبق خارج الماء سوى ثلاثة أشهر. وقد تخيل سكان المناطق المجاورة عندئذ كل أنواع الحكايات التى لعبت فيها الجزيرة التى ابتلعها البحر دورا كبيرا. تاريخ الجزيرة نفسه يمثل حكاية تقريبا. وكان لها أيضا اسمان جوليا وفردينانديا.

فى شهر يوليو 1831، برزت من أعماق البحر، فى البحر الأبيض المتوسط، جزيرة حقيقية، بجبال، وسهول، وأخيرا كل شىء، باستثناء البشر، بالتأكيد. قبطان عمارة بحرية إنجليزية متجهة إلى أفريقيا استولى عليها باسم بلاده، ثم أرسل تقريرا عن اكتشافه إلى حكومته. وصارت الجزيرة الصغيرة جزيرة جوليا.

بعد ذلك بوقت قليل، رست سفينة ناپولية بدورها هناك. وحدث نفس المشهد. رفع قومندان السفينة، فى احتفال، علم ملك الصقليتين، على الجزيرة. وقد جرى تعמיד قطعة الأرض باسم: فردينانديا.

وكان لابد من أن تفجر المغامرة إشكالا بين البلدين؛ لأىّ منهما تنتمى الجزيرة؟ وطالب بملكيتها كل من الطرفين.

وخلال هذا الوقت، قام الإنجليز، الذين اعتبروا هذه الأرض بريطانية، بتعيين حاكم. وغادر الرجل الجسور لندن ومعه كل أسرته بل يبدو أنه باع كل أملاكه قبل أن يبحر.

وبعد سفر طويل، عبرت السفينة أخيرا مضيق جبل طارق ودخلت بجرأة فى البحر الأبيض المتوسط، متجهة إلى جزيرة جوليا. واحتاج الأمر إلى البحث عنها طويلا: بدا أنها صارت مفقودة. وخشية ارتكاب خطأ ما، أخذت السفينة تتجول أياما عديدة فى تلك المناطق من البحر، ولكن كان لابد من الخضوع لحكم الواقع، لم تظهر فى الأفق أى أرض.

والحقيقة أن جزيرة جوليا، التى أثارَت منازعات لانهائية لها

بين الإنجليز والناپوليين، اختفت عشية وصول الحاكم. ويبدو أنها لم
تعاود الظهور منذ ذلك الحين. فهي لم تبق سوى ثلاثة أشهر خارج
الماء.



ابنة جنى الأمواج (الجزائر)

ذات يوم وأنا أهبط عبر أزقة حي القصبة بمدينة الجزائر، وانتنتى فرصة مقابلة راوى حكايات عربى عجوز. كان هذا الرجل الضئيل الضامر والمحنى الظهر، والأعمى منذ سنوات، يحمل بداخله عالما بكامله من المعرفة والحياة. وكان هو الذى لم تعد عيناه تريان يستطيع أن يستدعى لمستعميه الصحارى والبحار الهائلة الاتساع. وعند الاستماع إليه كانوا يجدون أنفسهم فجأة منقولين إلى أماكن أخرى وعصور أخرى. وكانت لغته المعبرة تعطى الحياة لآلاف من الشخصيات، وكان صوته المرتعش يستطيع أن يتحدث جيدا عن الطبيعة إلى حد أنه يقال إن صوته كان يغدو بالتناوب رياحا رملية، ورياح البحر، والنسيم المنعش للواحات، وحفيف أشجار النخيل، وطققة النار.

ويحتاج الأمر إلى كتاب بكامله لتدوين الحكايات التى حملتها ذاكرته. ومن بين تلك التى باح بها لى أمام كوب من الشاى احتفظت لكم بقصة "إمحمد" والياقوتة الحمراء.

كان "إمحمد" ابن تاجر غنى فى باحة سوق ["فندق"]. وكان فى الثامنة عشرة من عمره عندما مات أبوه تاركا له ثروة كان يعتقد خطأ أنها لا تتفد. وكانت سنتان من الاحتفالات، والولائم، والليالى المجنونة إلى حد ما، تكفيه لتبديد ما ادخره أبوه طوال حياته. المسكين، لقد وجد نفسه وحيدا وفهم أن أولئك الذين كانوا يقولون إنهم أصدقاؤه لم يكونوا يحبونه إلا من أجل ماله. ومجبرا على ترك مسكنه لدائنيه، غادر المدينة ومضى فى طريق دون أن يعرف حتى إلى أين يقوده.

لم يكد يسير. بضع ساعات عندما اكتشف بمحاذاة مزرعة نخيل، جسم فتاة مربوطة بالجذع الغليظ لشجرة. واقترب بقصد إنقاذ الفتاة التعيسة، غير أنه أدرك أنه وصل بعد فوات الأوان. كان جرح كبير مفتوحا فوق رقبتها وكان يبدو أن الفتاة ميتة.

عندما فحص الجرح، اكتشف "إمحمد" أن ما كان يسيل لم يكن قطرة دم بل كان ياقوتا أحمر. أخذ الحجر الكريم ومضى فى طريقه. وفى القرية الأولى استطاع أن يستجم ويشتري حصانا ويدفع أجر ليلته فى الفندق. ورفد لينام غير أنه رغم تعبته لم ينجح فى أن يجد النوم. ذلك أن فكرة أن أحجارا أخرى يمكن أن تسيل أيضا من هذا الجرح المفتوح منعه من النوم. وعند منتصف الليل تقريبا، غير قادر

على البقاء هناك، ركب حصانه واتجه إلى بستان النخيل. كان نور القمر كما لاحظ "إمحمد"، من بعيد جدا، شكلا أبيض يهتز إلى جانب الفتاة. وتاركا حصانه، تقدم بلا ضوضاء، متخفيا وراء الأشجار. وعندما لم يعد إلا على مسافة عدة أمتار من الأسيرة، سمع سوطا يفرقع. وكان صوت رجل يصرخ:

"إذا لم تقبلي الزواج مني، سأقتلك... سأجعلك تموتين ببطء بآلام فظيعة".

وفرقع السوط، منتزعا عويلا من الفتاة.

ثائرا، اندفع "إمحمد"، وخطف السوط من بين يدي من يعذب الفتاة، وضربه بكل قوة إلى حد أن الآخر تدرج على الأرض، متوسلا الرأفة.

"لا تقتله، غمغت الفتاة، دمه سيقع علينا ويجلب علينا الشقاء".

توقف الصبي عن الضرب العنيف وهرب الرجل بسرعة شديدة.

وفيما كان "إمحمد" يخلصها من قيودها، استعادت الجريحة الشابة قوتها وبدأت تتكلم.

"اسمي الياقوتة الحمراء، قالت، وأنا ابنة لابيود إلياكوانتي، الجنى الذى يحكم كل البحار. وقد ارتكبت خطأ الابتعاد وحيدة عن

قصر أبى، وهذا الرجل الذى تعرّف علىّ أسرنى لكى يلتقط الياقوت الأحمر من دمي. وأراد أن أتزوج منه لكى يكون لديه ياقوت أحمر طوال حياته. وما دمت قد أنقذتني، فإنك سترافقني حتى قصر أبى حيث سيجعل أبى منك أسعد الرجال، لأنه قادر على تحقيق كل رغباتك".

سارا نحو الجهة التى ترك فيها الشاب حصانه، وركبا كلاهما هذا الحيوان القوى والنشيط، وأسرعوا العدو فى اتجاه البحر. وعند شروق الشمس، وصلا إلى الساحل الرملى الذى تغنى فيه الأمواج.

"انتظرني هنا، قالت الفتاة، سأعود فى الحال للبحث عنك". غطست فى الماء الذى لوّنته الأشعة الأولى للشمس بألوان قوس قزح واختفت. قلّقا إلى حد ما انتظر الصبى متفحصا الموج. مرت ساعات عديدة، لا نهاية لها، ثم عندما كان الضوء المتألق فى ذلك الحين يشوش الأفق، رأى مجموعة من الفرسان يظهرون راكبين خيولا بيضاء تعدو بسرعة على الماء مثيرة سحبا من القطرات الصغيرة المتألّنة.



رأى الصبى مجموعة من الفرسان ...

"اترك هنا ركوبتك التى لن تكون لها أية فائدة لك بعد الآن، قال
الفارس الذى يقود هذه المجموعة، واركب هذا الحصان الذى منحك
إياه سيدنا لابيود إلياكوانتى".

اطاع "إمحمد"، وبعد عدة ساعات من العدو السريع فوق الأمواج لمست قدماه جزيرة صخرية ارتفعت فوقها أبراج وأسوار قصر فسيح. وفي قاعة الشرف المبلطة بالذهب، انتظرتة الياقوتة الحمراء برفقة رجل عظيم جدا وقوى جدا كان لعينيه اللون الأزرق للأمواج العميقة في أمسيات العواصف.

"أنا أبو هذه التي أنقذتها، قال جنى البحار. أنت هنا في بيتك. أريد أن تبقى هنا الوقت الذي يلزمك لتقول لى ما الذى يمنحك أعظم الفرح. لا تكن مسرعا فى الإجابة. يمكنك أن تطلب منى الثروة، أو القوة، أو مملكة، أو جيشا، أو الحياة الأبدية على هذه الأرض".

وفيما كان لابيود إلياكوانتى يتكلم، لم يرفع "إمحمد" عينيه عن الفتاة، التي كانت ترتدى فستانا طويلا من الحرير الأزرق. ولم تكن تلبس أية جواهر وعلى رقبتها لم يعد هناك أثر لجرح. وكانت تبتسم لـ"إمحمد"، وأحس هذا بأن هذه الابتسامة تساوى أكثر من كل ذهب العالم.

وبعد أن مرّ وقت الانفعال الأول، نظر الصبى إلى جنى الأمواج وبصوت حازم قال:

"مولاي، لا أريد الثروة، ولا القوة، ولا الجيش، ولا المملكة. وفيما يتعلق بالحياة الأبدية أعرف أنها ستمنح بعد موتهم لكل أولئك الذين سوف يستحقونها خلال إقامتهم على هذه الأرض. والواقع أن الشيء الوحيد الذى ينقصنى بالفعل على الأرض هو شجاعة العمل. وأعرف أن هذه الشجاعة سوف تواتينى إذا كانت بجانبى رفيقة أحبها وتستطيع أن تمنحنى السعادة. هذه الرفيقة التقيت بها فى الليلة الأخيرة وكنت رجلا يائسا. وإذا هى أرادت حقا أن تقبل حبى، سوف أسمح لنفسى بأن أطلب منك يدها".

استدار جنى الأمواج نحو ابنته التى انحنت أمامه وغمغمت:

"أبى، بصنع سعادته ستصنع سعادتى أيضا".

وأقيمت فى القصر احتفالات لا يمكننا أن نتصورها لأننا لا نعرف إلا عالم البشر. ثم بعد احتفالات الزفاف رافق الفرسان الياقوتة الزرقاء و"إمحمد" حتى الساحل الجزائرى على الأفراس البيضاء.

ولم يقبلأ أية هدية من أبيهما ولم يأتيا بزاد للسفر سوى حبهما المشترك وإيمانهما بالحياة.

وعندما صارا وحيدين، قالت المرأة الشابة لقرينها:

"أنت تعرف أننا لن نكون فقراء أبداً، لأنه يكفي أن تجعل دمي يسيل لالتقاط الياقوت الأحمر".

أخذها "إمحمد" بين ذراعيه واحتضنها بكل قوة قائلاً:

"أفضل أن أموت عن أن أرى قطرة واحدة تسيل من دمك. كوني مطمئنة، إنني أستطيع أن أجعلك سعيدة كما تستحقين".

وفي الشاب بوعده. وباجتهاده وكده في العمل استطاع أن يعيد شراء منزل أبيه، حيث قضت قرينته الراضية أياماً رائعة وهي تشهد البنات السبع والأولاد السبعة — الذين أنجباهم خلال خمسة عشر عاماً — وهم يكبرون.

وينبغي القول إنه، كل عام، في يوم نكرى التقائهما، كانا يذهبان إلى الساحل الرملي حيث كان ينتظرهما فرسان البحر؛ لأن جنى الأمواج واصل رغم كل شيء السهر على سعادتهما.



فى كثير من الأحيان، فى الحكايات، يصعد جنّ البحر من القاع لإثراء أولئك الذين عاملوهم جيدا. ألق فتات الخبز للبعج وستكتشف قصرا رائعا به ثلاث فتيات جميلات؛ أنقذ حياة سلحفاة صغيرة وسوف تتزوج أميرة؛ أنقذ سمكة ترس، كما فى حكاية من جريم وربما صرت إمبراطورا أو بابا.

وهذه الحكايات تحمل جميعا سمات حكمة واحدة بعينها: من الأفضل حماية الضعيف لأنه قد يخفى كائنا بالغ القوة. وأولئك الذين يرفضون أن يفعلوا هذا يتعرضون لأخطار كبرى.

ويروى إسكيمو المناطق القطبية بهذا الخصوص قصة نولياچوك، ملكة البحر.

فى الأزمنة التى كانت ما تزال لا توجد فيها كائنات حية فى المحيطات، حدث إلقاء يتيمة صغيرة فى اللحظة التى كان فيها سكان قرية جوينجميرتوج يستعدون لعبور مضيق.

حاولت الطفلة المسكينة أن تتعلق بأحد قوارب الكاياك، غير أنه كان يجرى دفعها إلى الوراء. ويائسة، أمسكت بمزيد من القوة. وقام جلاؤها بقطع أصابعها، وهو تصرف لا بد من أن يندموا عليه فيما بعد.

وتملك الكائنات ذات المظهر الهش قدرات غريبة في كثير من الأحيان. إن دم بطلة الحكاية الجزائرية يتحول إلى ياقوت أحمر، والأصابع المقطوعة لفتاة الإسكيمو الصغيرة تتحول إلى كائنات بحرية، وهي الأولى التي سكنت البحر.

وقد هبطت الفتاة إلى قاع المحيط، وصارت أم كل سكان المياه، والأسماك، والأخطبوطات، وعجول البحر، العزيزة جدا على قلوب أهل الإسكيمو. إنها، هي التي كانت ضعيفة قديما، تعطي البشر الآن طعامهم.

ولكن لا تتصوروا أنها نسيت ما جرى لها. وقد انتقمت لنفسها من انعدام الرحمة في قلب البشر. فهي التي، فيما يقال، تحدث المجاعات. وعندما تكون غاضبة، فإنها تحبس كل الحيوانات البحرية داخل مصباح ولا تحررها إلا عندما يهدأ غضبها الشديد.

وقد سماها الإسكيمو نولياچوك، وأنتم تتصورون عن حق أنهم بعد أن احتقروها صاروا الآن بالغي الاحترام لها. وهم لا ينطقون باسمها إلا بإجلال، خشية أن يثيروا غضبها.

ساحرات پنييسكولا

(إسبانيا)

عاش في پنييسكولا، في قديم الزمان، صياد سمك اسمه إنريكيث ما تزال ذكره باقية في كل ذاكرة. وما يزال الناس، إلى يومنا هذا، يحكون بكل سرور أن هذا الصبي كان يملك قدرة سحرية وأنه كان يستخدمها في السخرية من صيادي السمك الآخرين في الساحل. وبالفعل فإنه بمجرد أن بلغ الثلاثين من عمره، ومع أنه كان ما يزال يصطاد السمك لا أفضل ولا أسوأ من رفاقه، بدأ يأتي بكثير من الأسماك من أنواع غير معروفة، إلى حد أن الناس بدأوا يشكون في أنه عقد حلفا مع الشيطان.

ومن جهة أخرى فإنه، بعيدا عن العمل على تكذيب الاتهامات الموجهة ضده، أحاط نفسه بالغموض، فلم يكن يغادر الميناء إلا في الليالي الأكثر سوادا، وحيدا دائما ليناور بقاربه الثقيل.

وبقى على هذا الحال إلى نهاية حياته. وإنما بعد موته بقرون عديدة، حدث أن كاتباً اكتشف، فيما كان يبحث وينقب في

المحفوظات، رقاً لم يجروُ أحد من قبل على فض ختمه بالشمع الأحمر، وكان هذا الرقّ يحتوى على سرّة.

والحقيقة أن إنريكيث عاش دائما الحياة المألوفة لكل أولئك الذين ينتمون إلى حرفته، عندما لاحظ، ذات صباح، عند ذهابه لإحضار قاربه، أن عقدة ربطة حبل القارب لم تكن بالطريقة التي اعتاد أن يعقدها بها.

قال لنفسه: "شخص ما استعمل قاربي. وهو ليس بحّارا. إن رجل البحر لا يعقد مثل هذه العقدة!"

كما أن الشراع لم يكن مطويًا بصورة ملائمة، غير أن إنريكيث لم يتفوه عن هذا بكلمة لأى شخص. واصطاد وكأن شيئا لم يكن، وعاد إلى بيته، ثم بعد أن حلّ الليل، انصرف، من طريق غير مباشر، ليختبئ في قعر قاربه.

لم يكد يكمن متربصا ساعة واحدة، حتى رأى أربع نساء عجائز بقيادة لا فيرير ، وهى صاحبة فندق سيئة السمعة. قامت النساء بحلّ حبل المركب، ورفع الشراع، وفى الحال، انطلق المركب بسرعة بالغة إلى حد أن الناس قالوا إنه طار بالمعنى الحرفى للكلمة إلى قمة الأمواج. وخائفا قليلا، ولكن بفضول شديد

إلى رؤية إلى أين يمكن أن تعود النساء العجائز، ظل صياد السمك
متربصا في مخبئه.



قامت النساء بحل حبل المركب فانطلق بسرعة بالغة

ولأن الليلة كانت مظلمة جدا، والسماء غائمة، لم يستطع إنريكيث حتى أن يتطلع إلى النجوم ليحدد اتجاهه. وحدها غريزة البحار التي لديه قالت له إن القارب قد اتجه إلى الغرب.

وبعد مرور عدة ساعات من الركض، لمس مقدم المركب شاطئا رمليا نزلت فيه النساء في البر. تركهن صياد السمك يبتعدن قبل أن يغادر فغر المركب. وعندما استطاع أن يلقى نظرة نحو البر، إذا به يرى حريقا هائلا يشتعل على مسافة مئات الأمتار من الشاطئ. وعلى ضوءه برزت بوضوح خيالات الظل السوداء لنساء عديدات كنّ يرقصن نوعا من الرقص البطيء للغاية.

قال إنريكيث لنفسه: "إنهن ساحرات، لقد وقعتُ وسط محفل سبّتيّ ليليّ للساحرات. يا إلهي، يا لها من قصة!"

ولأن الساحرات كنّ أكثر انشغالا من أن يلقين بالا إليه، سار بمحاذاة الساحل الرملي، محاولا أن يكتشف سكانا أو أيّ تفاصيل تسمح له بالتعرف على هذا الساحل. غير أنه لم يجد شيئا سوى رمل ناعم. وأثناء عودته إلى مركبه، ابتعد إنريكيث قليلا عن الشاطئ، وداست قدماه على باقة من البوص. انتزع منها ساقا وذهب بها إلى مخبئه.

وعندما انتهى محفلهن السبتى الليلي، وعادت العجائز إلى
مكائهن في القارب، انطلق القارب يسرع وكان نوتيته امتلكوا هذا
الحبل الشهير الذى يحرك الرياح والذى يحاول الملاحون البحث
عنه عن طريق النوتية الأحداث المبتدئين. رياح الخلفية للوصول،
ورياح الخلفية للإقلاع – وأىّ رياح! – وبالنسبة للبحار الذى كانه
إنريكيث، فقد كان لديه شيء ما يعنى التفكير فيه!

وقبل الفجر بكثير، رسا المركب فى پنييسكولا، وذابت
الساحرات فى ضباب صاعد من البحر.

وبمجرد أن فتح العطار الذى يعرف النباتات دكانه، حمل إليه
صياد السمك البوص الذى كان قد قطعه على الشط.

"أين وجدتَ هذا؟" سأل الشيخ مندهشا إلى حد ما.

ستكونون على حق فى اعتقادكم أن إنريكيث لن يروى مغامرته
للشيخ!

قال: "بَحَارَ أجنبي هو الذى أعطانى إياه. ولكن لأنه لا يتكلم
اللغة الإسبانية، لم أفهم من أين كان قادما".

قال الشيخ: "حسنا، يا ولدى، لا يوجد لغز فى الأمر. ذلك الجسور كان قادمًا رأسًا من أمريكا. ويمكننى حتى أن أقول لك إنه لا بد من أن سفينته استفادت من رياح موالية جدا، ذلك أنه لم يمض وقت طويل جدا على قطع هذا البوص".

وأضاف الرجل المسن ضاحكا:

"لكنه لا يمثل حتى هدية ثمينة جدا لك، فهذا البوص لا يكفى حتى للتفصيل لصنع ناى".

وبعد أن أفاق إنريكيث من دهشته العميقة، انصرف لبحث عن لافيرير فى الغرفة الخلفية لفندقها. وحكى لها عن ليلته وأضاف:

"أنت تعلمين أن الساحرات يتم إحراقهن وهن على قيد الحياة. وإذا أنا تكلمت فإنه سيحكم عليك ويتم إعدامك بهذه الطريقة".

دمدمت العجوز بصوتها الذى كان يحدث صريرا مثل قفل سيئ: "إذن، كم تريد مقابل صمتك؟"

"أنا لا أريد مالا. أنت لا تملكين ما يكفى من المال، لأن السرّ الذى أحمله الآن يساوى ثروة. ما أريده سحر مثل سحرك يسمح لى بأن أبحر بمثل سرعتك"

ولم يكن أمام الساحرة خيار. حركت حجرا من موضعه فى جدارها، وسحبت من مخبئه وعاءً صغيرا يحتوى على مسحوق أحمر، وقدمته إلى صياد السمك قائلة:

"سيكون هذا لك طوال حياتك. لأن حبتين منه تضعهما على الشراع تكفيان لعبور المحيط. ولن يكتشف أحد سرك أبدا، لأنك أنت أيضا ستكون الوحيد الذى يُعتبر ساحرا".

كان هذا سرّ إنريكيث، صياد السمك فى پنييسكولا، الذى كان يجلب أنواعا ليلية من الأسماك اصطادها من آلاف الأماكن من الساحل الإسبانى.



أثناء رحلة فى إسبانيا، التقى الكاتب پروسپير ميريميه Prosper Mérimée بفلاح مؤمن بالخرافات روى له مغامرة ابن

عمه، صياد السمك فى پنييسكولا. وتستلهم القصة التى قرأتوها للتو المقال الذى أرسله پروسپير ميريميه إلى إحدى المجلات.

ومن المحتمل أنكم أيضا سمعتم عن السحرة والساحرات. وكانت لهؤلاء وأولئك سمعة سيئة لأنه كان يجرى ربطهم بالشيطان. ولم يحمل الناس لهم أى تعاطف.

وكل يوم سبت، فى منتصف الليل، كانت الساحرات يلتقن حول الشيطان لإقامة المحفل السبتي. وكان الشيطان يأتى إلى هذا الاجتماع الليلي فى صورة تيس كبير، حاملا قرنين ضخمين، وكان يقود الاحتفال. وفى الساعة الثالثة صباحا، كان الاحتفال ينتهى، فتعود الساحرات بسرعة إلى كل أركان العالم. ويبدو أنهم لم يكن بإمكانهن التجول على الأرض فيما بعد تلك الساعة.

وتظهر الساحرات فى أساطير عديدة ومن النادر جدا قيامهن فيها بدور متميز. وفى أغلب الأحيان يجرى تقديمهن بملامح نساء شرسات مرعبات.

ومنذ وقت طويل، فى كيوتو، فى اليابان، كانت هناك ساحرة تقفل كل يوم عابر سبيل. وعاش السكان فى خوف، ولكن لا أحد جرؤ على مواجهة هذه المرأة الرهيبة، التى اختارت مسكنها فى برج

منزل. ومع هذا، قرر شاب شجاع، إيشيدو، تخلص مدينته من هذه الغولة.

وفي الفجر، ودّع زوجته الباكية وابنه. واتجه نحو البرج المشنوم. رآته الساحرة قادمًا، وفتحت بابها، مستعدة لقتل هذا الشخص الطائش. كانت المعركة سنريعة. ألقى إيشيدو بنفسه عليها باندفاع شديد جدا إلى درجة أنها لم تتمكن من الدفاع عن نفسها. وبضربة سيف بتر ساعدها الأيمن، ولكنه لم ينجح في قتل المرأة الشريرة التي، بعد أن صارت مبتورة الساعد على هذا النحو، لجأت إلى داخل برجها.

عاد إيشيدو إلى بيته بغنيمته [ساعد الساحرة]. وبعد هذا بعبدة أيام، جاءت عمّة عجوز لتراه وتباركه وتبدي إعجابها بهذا الذراع.

تغيرت ملامح وجه الزائرة بمجرد أن لمحت ذلك العضو المبتور الذي كان ما يزال داميا. وتعرّف الشاب على الساحرة، فأسرع لإحضار سيفه، غير أنه عندما عاد كان لم يعد هناك أحد في الغرفة. ومن نافذته رأى عدوّته تختفي محلقة في الجو، وهي تضم ساعدها إلى صدرها.



ثلاث ربطات من الخشب (النرويچ)

كان إسبين نوتيا جيذا شجاعا جدا عشق البحر وحرفة البحار. وقد ركب البحر فى الثانية عشرة من عمره على مركب شراعى كان يذهب حتى إلى أفريقيا للبحث عن هذه البضائع الثمينة التى لا يجدها الناس إلا فى بلاد الشمس الساطعة. وكان قبطانه يحبه وكأنه ابنه الحقيقى وفى كثير من الأحيان كان يقول له:

"فى سن العشرين، ستتقن هذه الحرفة مثلى، وفى الخامسة والعشرين، ستكون قومنداناً".

كان إسبين سعيدا وبدون فرح العودة إلى والديه كان يفضل دائما البقاء فى ميناء صيد السمك طويلا جدا.

غير أنه ذات يوم، عندما كانت السفينة مستعدة لرفع المرساة، ذهب النوتى يبحث عن قبطانه وأبلغه رغبته فى أن يغادر السفينة.

"ماذا، سأل البحار العجوز، تريد أن تتركني؟ لكنك لا تفكر في هذا... آه! أنا فاهم، لقد وقعت في الحب وخطيبتك هي التي تريد منك البقاء في البر!".

إسبين، الذي لم يكن عاشقا إلا للبحر والسفن احمر من ذلك خجلا حتى أذنيه.

"أقسم لك أن الأمر لا يتعلق بهذا، قال. أقسم لك على هذا أيها القبطان".

- إذن، فسّر لي. تريد أن تترك قاربا آخر؟
- أوه، لا، أيها القبطان، أنا في أحسن حال معك.
- إذن، لقد أصابك الملل من هذه الحرفة؟
- ليس على الإطلاق، أيها القبطان، ولا أعرف شيئا آخر يمكن أن أفعله ويرضيني هكذا.
- ومع كل هذا فأنت لم تر الفئران تغادر السفينة؟
- أوه، لا، أيها القبطان، الأمر مخيف أكثر أيضا!
- ما هذا الكلام؟ أياك بعض الحمقى قد حكوا لك قصة عن العاصفة ونزرها؟ هيا، تكلم!".

غير أن القبطان ظل يتوسل، ويصرخ، ويهدد عبثاً، فلم يحصل على شيء أكثر. بقى المراهق صامتا مثل مرسة مقيدة بعشر قامات [حوالى ستين قدما من مقياس الأعماق] فى القعر.

ومع هذا فقد انتهى إلى القول لصاحب السفينة:

"اصغ إلىّ، أيها القبطان، أنا لا أريد أن يغادر القارب الرصيف. صدقنى، ينبغى البقاء. أنا أتوسل إليك، لا تعدّ إلى البحر!".

البحار العجوز انطلق بضحكة كبيرة:

"البقاء فى المرسى، ولكنك لا تعرف معنى ما تقول، يا صغيرى. أنت لست فى كامل رشذك بعد. هيا، أعتقد فى الحقيقة أن من الأفضل أن أستبدلك".

وراح يهبط على المرسى ليحاول تجنيد نوتى آخر، عندما ألقى عليه إسبين الصغير بنفسه وتشبث بكل قواه بمعطفه الصوفى. وبالدموع فى عينيه وبصوته المختنق، نطق:

"لا، لا، أيها القبطان. سأبحر معك. ولكن ينبغى عمل ما سأطلبه منك".

إيمو، ذئب البحر العجوز، هذا الولد الذى انتهى إلى القول:

"يجب أن نضع على سطح القارب ثلاث ربطات من خشب البتولا".

بدا القبطان مندهشا. للحظة، راقب النوتى سائلا نفسه ما إذا كان هذا الطفل لم يفقد صوابه، غير أنه كان يوجد فى نظرة الصبى بصيص إخلاص وصدافة ألقه. وراغبا فى أن لا يترك شيئا يظهر من أفعاله، هزّ كتفيه وقال:

"هذه بالفعل نزوة مراهق، ولكن فى نهاية المطاف، إذا تمسكت بهذا، فإن ما نشحنه ليس أكثر من ثلاث ربطات من الخشب".

- من خشب شجر البتولا، دقق النوتى، هذا ضرورى جدا، أيها القبطان.

- "نعم، نعم، هذا مفهوم، من خشب شجر البتولا"، قال القبطان مبتعدا ليعطى أوامر.

ولدهشة الملاحين البالغة، تم تحميل الربطات الثلاث من الخشب وجرى رصها بصورة منفصلة على سطح السفينة، ثم، بكل الأسرعة مشرعة، أفلعت السفينة الكبيرة فى اتجاه عرض البحر.

سار الأسبوع الأول من الملاحة فى ظروف ممتازة. كانت الريح مواتية والسماء زرقاء صافية صقيلة مثل طلاء خزفى. ومن وقت لآخر كان القبطان يقول لإسبين:

"إذن، أيها النوتى الصغير، ألا تشعر بالبرودة؟ لا. على كل حال، لديك ما يدفئك".

وكان يضحك مخفياً ضحكته فى لحيته الشقراء.

ولكنه، فى صباح الأسبوع الثانى، كفّ عن الضحك. وعندما كان الفجر يطلع، انقضت على السماء غيوم سوداء ضخمة، مدرجة أجسامها المفتولة العضلات على المحيط المظلم. ازدادت الريح قوة وأخذت تثير دوامات وزوابع. وتجوّف البحر وبدأت السفينة تتدحرج وتتمايل بطريقة مقلقة.

ولم ير أحد فى يوم من الأيام عاصفة مشابهة.

"أنزلوا الأشرعة!" صاح القبطان.

اندفع البحارة وبدأوا المناورة بينما بدأ النوتى يلقى من فوق ظهر السفينة أول ربطة من خشب شجر البتولا.

"ولكن ماذا تفعل؟ صاح القبطان. ليس خشبك هو ما سوف نلقيه!"

وبين زوبعتين، قال الصبى:

"بالطبع ليس هو، ولكنه هو ما سينقذنا!"

ومندھشا أكثر فأكثر، استطاع البحار المسن أن يرى أنه كلما
كان الحطب يلمس الموجة كانت الرياح تفقد من عنفها وكانت
الأمواج تهدأ.

"ياه! دمدم بين أسنانه، هذه مصادفة. إذا توقفت العاصفة، فهذا
يعنى أنها تلتف أنفاسها الأخيرة".



كلما كان الحطب يلمس الموجة كانت الرياح تفقد من عنفها

وتم إصلاح بعض الأشرعة الممزقة وعارضة صارى مكسورة، ثم استأنفت السفينة سيرها تحت سماء تخلصت من اكفهرارها.

بعد ذلك بيومين، عاصفة جديدة أشد غضبا أيضا، وقد توقفت عن الهدير عندما ألقى النوتى الكومة الثانية من خشب البنولا.

وبالفعل بدأ القبطان يفرك لحيته فيما كان يطرح على نفسه أسئلة، ولكن بعد العاصفة الثالثة، عندما لم يعد لديه حطب على ظهر السفينة، طلب النوتى إلى كابينته وسأله:

"لا أستطيع أن أقول لك شيئا، أجب الولد، لا شيء على الإطلاق. ولكن انظر إلى البحر، فربما تفهم".

اقترب صاحب السفينة من النافذة ورأى أن المحيط كان بلون الدم.

"غريب، قال، لكننى لا أفهم أكثر".

- إذن، ختم النوتى كلامه، قد تفهم فى اليوم الذى نعود فيه إلى المرسى. كل ما أريد قوله لك، إننا لن نتعرض بعد الآن لعاصفة".

وبالفعل، خلال ثمانية شهور، تواصلت الرحلة بلا عوائق، مع رياح ممتازة. فقط عندما عاد إلى ساحل النرويج، علم القبطان، والنائب الأول، ونوتى شرع مقدمة السفينة أن زوجاتهم توفين بمرض غامض على وجه التحديد فى اللحظة التى واجهت فيها سفينتهم هذه العواصف المفزعة.

النوتى، الذى سئل مائة مرة، احتفظ دائما بسرّه، الذى سأبوح لكم به دون أن أكشف لكم ممن عرفته.

قبل إقلاع المركب، ذات يوم فيما كان إسبين وحيدا على متنها رأى ثلاثة من غربان الزاغ تحط على عارضة صارى الشراع الأعلى. وهذه الغربان الثلاثة التى كانت لها أصوات نساء كنّ يقمن بإلقاء سحر مؤذ على سفينة وهُنَّ يقلن إنهن يُردنن التخلص من أزواجهن. وما إن عُدنَ إلى تحليقهن حتى حط نورس ساخر على نفس عارضة الصارى وقال للنوتى:

"هذه الغربان الثلاثة هُنَّ ساحرات، إحداهن زوجة القبطان، والأخرى زوجة النائب الأول، والثالثة زوجة نوتى شرع مقدمة السفينة. وإذا أصغيت إلى فإن السحر المؤذى الذى ألقينه على السفينة سيكون بلا تأثير".

وشرح النورس للصبي ما يجب عمله لتهدئة العاصفة. ولأن
إسبين أصيب بالذهول فإن طائر البحار الجميل أضاف:

"إذا كان لك مثل هذا الحظ، سيكون هذا يوم ميلادك، فالرياح
الداخلية أحضرت إلى مهدك السباتي بأربع أوراق. غير أن هذا سرّ
عليك أن تحتفظ به لنفسك، وإلا فإن حظك سيتخلى عنك".

فقط عندما نجح في تهدئة العواصف الثلاث اقتنع النوتي حقاً
بأن النورس الساخر لم يكن يسخر منه.

أنقذ إسبين، الفتى النرويجي، حياته نفسها وحياء قبضانه عندما
أصغى إلى أحاديث غربان الزاغ الثلاثة وطائر نورس. وقد امتلك
العديد من شخصيات الأساطير، مثل بطلنا، هذه الموهبة الاستثنائية،
سواء منذ الولادة، أو بتوسط شيء سحري. أحد هؤلاء، وكان من
سكان جزيرة ليسبوس الإغريقية، نَسَّ حجراً لامعاً في فمه. وذات
يوم سمع أحاديث غراب. تكلم الطائر عن كنز مخبوء. ووجده الشاب
وصار غنياً جداً.

ومع هذا فإن مساعدة شيء سحري لم تكن ضرورية بصورة
إجبارية. وكان يكفي أحياناً أن يكون المرء طيباً إزاء الحيوانات التي،

لكى تشكره، كانت تسمح لك بفهم لغتها. هذا ما حدث لشاب
إغريقي، ميلامبوس، الذى صار إلى يومنا هذا شهيرا جدا.
أحب ميلامبوس كثيرا من الحيوانات، وكان يحميها دائما.
وعلى هذا النحو أنقذ ثعبانين صغيرين كان خدمه قد قتلها والديهما.

وذات ليلة، فيما كان الصبي نائما، زحف الحيوانان الزاحقان
إلى فراشه ولعقا أذنيه. استيقظ ميلامبوس، مرتعبا، غير أن دهشته
كانت كبيرة عندما اكتشف أنه فهم ما قاله طائران خطأ على نافذته.

الثعبانان، ليشكرا منقذهما على كرمه، سمحا له بأن يفهم لغة
الطيور، والحشرات، والعديد من الحيوانات. اشتهرت سمعة
ميلامبوس بسرعة وأتى الناس من بعيد طالبين منه النصيحة. ولكن
إذا كان الكثيرون أحبوه، وقدروه، فإن آخرين كرهوه.

بعض الأعداء خطفوه وسجنوه. وداخل زنزانته، سمع الصبي
المسكين أشعارا تبوح له بأن عوارض السقف قد نخرت تماما، وأنها
لن تلبث أن تنهار.

سارع ميلامبوس إلى تنبيه سجانبيه الذين نقلوه إلى سجن آخر.

وقد انهار السجن الذي غادره بعد هذا بوقت قصير. وقد قام الحراس، متأثرين بشدة، ومعتقدين أنهم يتعاملون مع كاهن كبير، بتحرير السجين الذي غمروه بالهدايا من أجل كسب صداقته وثقتة.





عجول البحر

(آيسلندا)

هل تعرف، سألنى ذات يوم راج عجوز من آيسلندا، لأى سبب رغبتُ فى تربية الخرفان مع أنتى من أسرة من البحارين؟ لا، أنت لا تعرف شيئا عن هذا. حسنا، سأقول لك السبب: هذا لأننى أخاف من عجول البحر. طبعاً، لا تتدهش، هذا ما حدث بالفعل. عجول البحر، أنت تعتقد أنها حيوانات كغيرها؛ وأنت مخطئ، لأن أسلافها كانوا رجالاً.

نعم: رجالاً مثلك ومثلى. وكانت الإناث نساء، بالطبع. بل حتى كنَّ فى كثير من الأحيان جميلات جداً.

كيف لى أن أعرف هذا؟ لكن لأن أبى قاله لى وقد أخذه عن أبيه، وهكذا حتى الزمن الذى عاش فيه كل الناس عراة فى جحور الصخور. هذا ما حدث، ومن المدهش أنتى لا أعرف عنه شيئاً! يبقى أن البشر، الذين كانوا يرتكبون دون شك الكثير من الأعمال الحقيرة، ألقوا بأنفسهم ذات يوم فى البحر ليغرقوا. غير أن البحر كالبشرية، فقد صار شريراً على مر القرون. وفى ذلك الزمن، كان البحر فتاة

طيبة، وبدلاً من أن تدع كل هؤلاء الناس اللطفاء يغرقون، قامت بتحويلهم إلى عجول بحر. هذه هي الطريقة التي نشأ بها هذا النوع. لا أكثر ولا أقل.

غير أن ما لا تعرفه أنت بعد هو أن عجول البحر يمكن أن تستعيد هيئتها البشرية مرة كل سنة، في ليلة الغطاس. فمع شفق الغروب، تأتي عجول البحر إلى الشاطئ، وتخرج من جلدها مثلما تخلع أنت معطفك الواقى من المطر، وهي تضع جلدها على الشاطئ أو تعلقه على صخرة، وإذا بعجول البحر تعود إلى أصلها كنساء أو رجال حتى طلوع النهار.



عجول البحر تستطيع أن تستعيد هيئتها البشرية

ولا حاجة إلى أن أقول لك إن عجول البحر تستغل هذا فى التسلى وإنها، بصفة عامة، تقضى ليلتها فى الرقص.
ولكن، ذات ليلة، ها هو الفتى أولاف، وهو صبى من قرية مجاورة، يجد نفسه يمرّ من هناك. وهو ينضمّ إلى الجماعة، ويرقص طوال ساعات مع فتاة شابة جميلة جدا يقع أولاف فى حبها.
"أريد أن أتزوج منك"، قال لها.

ولكن الفتاة تشرح له من أين جاءت وتخبره بأنه يتعين عليها قبل الفجر أن تلبس جلدها الخاص بعجول البحر وأن تعود إلى البحر لمدة عام. وها هو الصبى، العاشق جدا فى الحقيقة، يبتعد وكأنه أراد أن يعود إلى القرية. ويقوم بدورة حول الطريق، ويتوارى بين الصخور ويسرق جلد الفتاة الشابة ويأتى به إلى بيته ليخبئه فى صندوق يخفى مفتاحه.

وفى الفجر، تعود كل عجول البحر إلى البحر، ما عدا الشابة التى تأخذ فى البكاء باحثة عن جلدها. وطبعاً لا تعثر عليه، لكنها تلقى أولاف الذى يقول لها:

"لم يعد أمامك إلا أن تتزوجينى، وأنا أقسم لك أننى سأعرف كيف أجعلك سعيدة وكيف أجعلك تنسين حياتك البحرية".

وما العمل غير هذا؟ إن الشابة، واسمها هيلجا، تتزوج من أولاف وتتجب له ثلاثة أطفال لطافاً. ولأنها لم تعد تتكلم مطلقاً لا

عن عجول البحر ولا حتى عن البحر، لا يتصور أولاف أنه يمكن أن تعود إليها الرغبة في أن تعثر من جديد على رفاقها القدامى، ويكف سريعا عن التفكير في الماضي. غير أنه لا شيء يمكن أن يقتل الغريزة. والحقيقة أن نداء المساحات البحرية الواسعة مفرع بالنسبة لأولئك الذين جرّبوا المحيط.

وذات صباح، يخرج أولاف دون أن يأخذ معه مفتاح الصندوق، وعندما يعود يجد أطفاله الثلاثة الذين هجرتهم أمهم. ويرى الصندوق خاليا فيدرك أنه لن يرى زوجته أبدا.

وتمر الأعوام، وذات يوم ينظم سكان الشاطئ مطاردة كبيرة لعجول البحر. ويقتلون منها المئات. وعندما تنتهي المذبحة، يجلسون إلى مائدة الطعام من أجل وليمة تدوم نهارين وليلتين. وتصل الليلة الثانية إلى نهايتها عندما يظهر، فجأة، في القاعة الضخمة التي تجمع فيها المدعوون، قزم خرافي ذو قبح مرعب. ويسود الصمت. أغمى على نساء، ويختفى أطفال تحت الموائد، ويصبح الرجال أكثر شحوبا من الموتى.

ينتقم القزم. إنه قصير الأرجل، وهو يهزّ كتفيه الضخمتين ويقطب وجهه وهو ينفخ بخارا.

"إني ألعنكم جميعا، قال. إن عجول البحر سوف يغرقونكم وستتحول جثثكم إلى صخور ستصبح كذلك أحجار عثرة يصطدم بها البحارة".

إن ما بدا أنه الأكثر غرابة هو أن هذا القزم المرعب كان له صوت نسائي جميل. صوت هيلجا.

ويتحقق ما تتبأ به القزم. تشنّ عجول البحر على سكان الشاطئ حربا بلا رحمة. وهي تغرق الكثير والكثير منهم إلى حد أنه لا يكون بوسع المرء أبدا أن يُحصى الصخور البحرية التي تتكون مثل سلسلة على مسافة بضع مئات من الأمتار فقط من الشاطئ. وعندما يكون البحر هائجا، يسمع المرء أنين التعساء الذين تأتي الأمواج لتسوطهم بلا انقطاع.

ومنذ ذلك الحين، وأنت تترك الآن، تصيبني القمص المماثلة بالخوف. البحر، أتأمله من بعيد، من أعلى الشاطئ الصخري، ويجعلني رعى خرافى أحسّ بسعادة أكبر كثيرا من صيد عجل البحر أو صيد السمك عند الصخور البارزة قرب الشاطئ.



لا شك فى أن السهرات الشتوية الطويلة فى آيسلندا ساعدت على نشأة حكايات خيالية عديدة. وتظهر عجول البحر فى كثير من الأحيان فى الحكايات، كما هو الحال عند الإسكيمو المعروفين أيضا بأنهم رواة حكايات لا تتضب قريحتهم.

وعجول البحر حيوانات ذات قيمة عالية بالنسبة لشعوب البحار الباردة. وفى قصة عجل البحر الأبيض [أو: الفقمة البيضاء] بقلم كبلنج، نشهد أسر حوالى مائة منها، مصيرها أن تصبح "چاكيئات من الفرو". غير أنه بالنسبة لرجل واحد، ليس من السهل دائما أن يقبض على عجل بحر. وفى أثناء الليل القطبى الطويل، يتحدث الإسكيمو كثيرا عن الصيد وعن محاولاتهم الفاشلة التى يحاولون تفسيرها. فهل يمكن اعتبار كل هذه المحاولات الفاشلة طبيعية تماما؟ وقد عوقب أولاف وأهل قريته بقسوة بالغة على المذبحة التى نظموها. ألا يكون الإسكيمو يتلقون، بدورهم عقوبة على إثم ارتكبوه منذ وقت طويل جدا؟ إن بعضهم يتذكرون عندئذ المغامرة العجيبة لنيريقيك، ملكة كل كائنات تحت البحر وبصورة خاصة عجول البحر التى تحميها نيريقيك من المجازر.

وهذه القصة لا يمكن إلا أن تذكرنا بقصة نولياچوك التى اكتشفتها فى نفس الوقت مع الحكاية الجزائرية، ابنة جنى الأمواج. نولياچوك ونيريقيك، وهما معبودتان لقبائل مختلفة من الإسكيمو، تلعبان مع ذلك نفس الدور وتعبران، عند صيادى عجول البحر، عن اهتمامهم بتفسير مشكلاتهم.

ذات يوم، قرر طائر، طائر النوء، متعباً من وحدته، أن يتزوج من كائن بشري. يرتدى جلد عجل بحر ويلبس نظارة. ووافقا من أنه جميل جداً، ومقتنعاً بأنه يشبه البشر، يصل إلى قرية، ويأسر امرأة ويقتادها إلى مسكنه. المسكنة، التي وجدت أن زوجها قبيح جداً، لم تكن لديها سوى رغبة واحدة : أن تهرب.

بعد أسبوع أو اثنين من الزواج الغريب، يرحل طائر النوء للصيد. وكان ذلك بالضبط هو اليوم الذي قرر فيه إخوة زوجته القيام بزيارة لأختهم، التي اصطحبوها معهم. وعند عودته، اندفع الطائر، غاضباً، لملاحقة الهاربين. كان يطير بسرعة ويرفرف جناحيه بقوة بالغة إلى حدّ أنه أثار عاصفة عاتية. وحينما أدركوا أن زوجة طائر النوء كانت السبب المباشر للإعصار، ألقى بها إخوتها إلى البحر. وحاولت أن تتعلق بالقارب، ولكن جلاذيتها قطعوا يديها.

وفي قاع المياه، تلك التي كانت زوجة طائر النوء أصبحت "تيريقيك"، أي ملكة عالم تحت البحر. وسلطتها هائلة. ولكي تتقم لنفسها من عقوق البشر، يمكنها أن تحدث المجاعة. ويكون على الناس أن يهبطوا ليتوسلوا إليها عندما يكونون جائعين، ويحدث أن تدعهم يأسرون بعض ما عندها من عجول البحر.





رحلة الملك سوران (الأرخبيل الهندي)

لن أعلمكم شيئا عندما أقول لكم إن الملوك أيضا يصابون بالملل. ولأن مهنتهم هي أن يحكموا ولأنه يوجد دائما شخص ما يحكم بالنيابة عنهم فإنهم لا يجدون ما يفعلونه مطلقا. وبالتالي فإنهم، عندما يكونون قد قرأوا كل الكتب، وشاهدوا كل العروض الفنية، وتعلموا قواعد كل الألعاب، يصابون بالملل، ستقولون لى، مادام شخص ما يقوم بعملهم، فإنهم يمكن أن يبحثوا عن عمل آخر، غير أنكم تعرفون جيدا أنه لا أحد يريد تشغيل شخص لا يستطيع أن يفعل شيئا.

وكان الملك سوران مثل الآخرين، غير أنه كانت لديه أفكار. وذات يوم جاءت الرغبة فى استكشاف قاع البحار. وبطبيعة الحال، حدث هذا قبل جول فيرن بوقت طويل ولم يكن أحد قد تخيل الهبوط إلى قاع المحيط. وبالتالي استدعى سوران وزير بحريته وسأله:

"فى رأيك، ماذا يمكن أن يوجد حقا فى قاع البحر؟"

حك الوزير رأسه لحظة، ثم قال بخوف:

"الماء".

أشار الملك إشارة يأس.

"بالتأكيد، قال، أنت أكثر سذاجة مما كنت أعتقد. أنت لم تعد وزيرا، لقد عينتك مسئولاً عن إصلاح الطرق".

وضع الوزير حقيبه الوزارية وذهب لأخذ المعول، وهو الأمر الذى أضحك كثيرا سكان المملكة ولكنه لم يؤدِّ إلى تحسين — أوه! بل مطلقا! — حالة الطرق.

وباختصار، أمر الملك بإحضار مسئول إصلاح الطرق الذى حل الوزير محله، وسأله:

"فى رأيك، ماذا يمكن أن يوجد حقا فى قاع البحر؟"

متضايقا قليلا من يديه لأنه لم يعد يمسك بمقبض المجرفة لمساعدته فى ذلك، فكر مسئول إصلاح الطرق لحظة ثم، وهو يهز رأسه، أجاب:

"هناك سرّ كبير، هذا شيء مؤكد. ولكن على كل حال لا أفهم لأى سبب قد لا يوجد عالم شبيه بعالمنا.

- أنت بالتأكيد أكثر ذكاء بكثير من كل أعضاء حكومتى، قال الملك، لقد عينتك وزيرا للبحرية".

هذا القرار أضحك كثيرا من موظفى الوزارة، غير أن ابتهاجهم كان لفترة قصيرة، لأن الوزير الجديد جعلهم يعملون، وهذا ما لم يحدث فى يوم من الأيام.

سار كل شيء أفضل كثيرا فى المملكة، وأعطى الملك سوران الأمر لأكثر مهندسيه موهبة بأن يبنوا له صندوقا من الزجاج محكم الإغلاق بصورة مطلقة يجلس بداخله ويجعلهم يلقون به فى البحر.



أعطى الملك الأمر ببناء صندوق من الزجاج ...

وداخل الصندوق، كانت توجد دواسات تقوم بتشغيل عجلة تجديف، ودقة يمكن أن يديرها المرء كما يدير المرء دفة القوارب. الصندوق المزود بصابورة غاص ببطء، وبدأ الملك رحلته.

وخلال عدة أيام، سأل نفسه ما إذا لم يكن الوزير، الذى كان قد فصله، على حق، لأنه قلما رأى سوى الماء وأسماك جاءت تراقبه، إلى حد ما مثلما كان هو نفسه يراقب فى كثير من الأحيان أسماكه الحمراء داخل وعائها الزجاجى. وأحس ببعض الضيق بالقرش "أبو مطرقة" الذى كان يصطدم بكل قوة بزجاج حجرته المقفلة، غير أن الزجاج كان متينا وانتهى الحيوان إلى التخلّى عن الهجوم. وأخيرا، بعد ساعات وساعات من الملاحه، وصل الملك إلى مدخل كهف ضخم دُفِع إليه مركبه بتيار عنيف. وفى الداخل، كان يُرى بنفس الوضع مثلما على الأرض بل ازداد الضوء شدة أيضا عندما أخذ الصندوق الزجاجى يصعد. وسرعان ما طفا الصندوق على مسافة عدة قامات [القامة مقياس أعماق يساوى ستة أقدام] على شط رملى أحمر رسا فيه الملك. وهناك، استقبله رجل ضخم جدا وقوى جدا، محاطا بخدم ونساء. وقال هذا الرجل:

"أنا الملك أقطاب الأرض. وكما يدل اسمى فأنا سيد جوف الأرض. وأنا أرحب بك".

وقدم سوران نفسه وفى الحال صار محاطا بجمهور محب للاستطلاع أخذ يفحص ملابسه. ذلك أن هؤلاء النساء والرجال الذين يلبسون الطحالب لم يروا مطلقا مثل هذه الثياب. وكان أقطاب الأرض نفسه مندهشا ولم يكف عن طرح أسئلة عن العالم المجهول الذى أتى منه سوران.

"وكيف تعيشون؟ وماذا تأكلون؟ وماذا يفعل الأطفال؟ وما هي الشمس؟" إلخ.

ومن ناحيته، أخذ سوران يلاحظ هذا البلد، ويطرح أسئلة، وينتقل من مفاجأة إلى مفاجأة. هنا، كانت نار الأرض هي التي تعطي الحرارة والضوء، إلى حد أنه لم تكن توجد لا فصول ولا نهارات مظلمة. ولأن البحر أكثر هدوءًا بكثير في الأعماق الكبيرة منه في السطح، فإن الناس هنا يجهلون العاصفة. وكان الناس هادئين، ولم يعرفوا أصلا كلمة حرب، ولم يكن الملك يجد أى صعوبة مع وزرائه.

وبسرعة بالغة، صار الملكان صديقين، وكان أقطاب الأرض سعيدا بمنح يد ابنته لـ سوران. وكانت هناك مأدبة فخمة لكل رعايا المملكة. وكانت الأسماك، والمحار، والطحالب المفرومة كسبانخ، المطبوخة بنار جوف الأرض، تشكل وجبة طعام من أكثر الوجبات تغذية.

كانت الحياة في هذا العالم لطيفة جدا إلى حد أن سوران لم يلاحظ مرور الوقت. وقد بقي هناك ثلاثة أعوام ومنحته زوجته ثلاثة صبية جميلين. ومع هذا، كان سوران يفكر في مملكته بقلق. كان يسأل نفسه عما يمكن أن يفعله وزراؤه حقا. وتخيل حروبا، وثورات، وأوبئة، ومجاعات، وباختصار، انتهى به الأمر إلى أن صار مهموما إلى حد أن أقطاب الأرض ختم حديثا معه بالقول له:

"أنت لا تستطيع أن تحيا على هذا النحو بصورة متواصلة. كما أنه ليس لك الحق في أن تهمل رعاياك وقتا أطول. وأنا أعلم جيدا أن ابنتي ستبكي، ولكن عليك أن ترحل. عُدْ إلى قصرك. وعندما يبلغ أبنائك العمر الذى يتبعونك فيه سأبعث بهم للحاق بك، وأنت سيكون بوسعك أن تعود إلى هنا".

عاد سوران إلى مكانه فى قفصه الزجاجى، وبدأ يديره فيما كانت زوجته تذرف الدموع بغزارة.

وعند عودته إلى قصره، جرى استقباله استقبالا حماسيا من جانب كل شعبه الذى كان فخورا للغاية بمآثره. وأمر بتدوين حكاية رحلته وحقق الكتاب نجاحا كبيرا وتمت ترجمته إلى لغات عديدة. وبطبيعة الحال فإنه لم يقل فى كتابه إنه على المستوى الإدارى لم ينتبه أحد حتى إلى مجرد غيابه. وبالتالي بدأ من جديد فى ألا يعمل شيئا، غير أنه كان يصاب بالملل بصورة أقل، لأنه كان يتلقى باستمرار زيارة العواهل الأجانب الذين كانوا يزعمون أنهم قرأوا كتابه إلا أنهم يريدون أن يسمعه يروى مغامراته.

ومضت الأعوام، وكبر أطفال سوران، وذات يوم رآهم الناس يصلون داخل صندوق من الكريستال أكبر وأجمل من ذلك الذى كان قد استخدمه أبوه. وتنازل سوران عن عرشه لأجمل الثلاثة ثم عاد، بصحبة الاثنين الآخرين، إلى جوف الأرض حيث كانت زوجته فى انتظاره.

وبالطبع فقد أحضر معه بعض النسخ من كتابه، غير أن هذه الحكاية لم يهتم بها لا أقطاب الأرض ولا رعاياه الذين كانوا يعرفون أكثر كثيرا عن جوف الأرض.

"ما كان عليك أن تؤلفه، قالت له زوجته، هو كتاب آخر تروى فيه للناس هنا ما يحدث في بلادك".

وفي ضوء النار التي تحيا في قلب الكرة الأرضية، أخذ سوران يكتب ليتحدث عن الشمس، عن الرياح، عن الأشجار، عن المنازل، عن وزرائه، عن الحروب، عن الثورات، عن منازعات القصر، وباختصار، لم يكن لديه مطلقا الوقت للإحساس بالملل، لأنه كان عليه أن يتحدث عن كل شيء يجهله هؤلاء الناس الذين يعيشون في عالم لا يشترك في شيء مهم مع عالم البشر.



شغل قاع البحار دائما أذهان أسلافنا. ماذا كان يمكن أن يكون تحت الماء؟ كائنات تشبه البشر؟ والشعب الذي اكتشفه الملك سوران

تحت المحيطات قريب الشبه جدا من سكان الأرض. وهذه المملكة نسخة مطابقة لكل ما نعرف. غير أن الأمر يتعلق بمملكة سعيدة، لا يخشى فيها البشر لا العواصف، ولا المجاعة، ولا الحرب: نوع من الفردوس.

وبالفعل، فإن المحيط كان يمثل قديما إما جنة عدن، بلد هادئ ذو ثروات خيالية، أو الجحيم. ومع هذا فإن الغضب العنيف للمياه كان يستدعى في كثير من الأحيان عالم الظلمات المعادى، المأهول بالوحوش الشرسة. وتكشف لنا حكاية يابانية، "كاماتورى"، وجود أحد هذه المخلوقات.

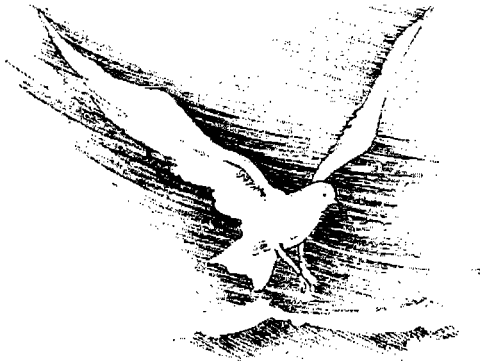
كانت كوهاكيونيو، الابنة الوحيدة للسيد الإقطاعى كاماتورى، تستعد للزواج من إمبراطور البلد المجاور. وقبل الزواج، قررت تقديم قرابين للآلهة، كما تقتضى العادة. الهدايا، التى كانت توجد ضمنها عجلة من الكريستال مغلقة على تمثال صغير لبوذا، كانت ستنقل إلى معبد، يقع على جزيرة.

وفى أثناء الرحلة، هبت عاصفة عنيفة، غير أن السفينة وصلت مع هذا إلى هدفها، وتم نقل الهدايا إلى المعبد، وهناك يتضح أن العجلة قد اختفت. من يمكن أن يكون قد ارتكب مثل هذه السرقة؟ فقط ملك البحار كان قادرا على مثل هذا العمل الشرير، وهذا هو السبب فى

أنه كان قد أثار الاضطرابات. زار كاماتورى مواقع الكارثة وقام بتوحيد كل صيادى السمك فى المناطق المجاورة. وإذا قبل واحد منهم البحث عن العجلة ووجدها فإنه سيتلقى جائزة كبيرة. ورفض الجميع. فمن يجرؤ على أن يتحدى شيطان الماء؟ وعندئذ تقدمت شابة، رثة الملبس. وكانت تأمل أن يصير ابنها ساموراي وكان بالتالى بحاجة إلى مال. واقترحت أن تتحدى ملك البحار. وأمام مثل هذه الشجاعة، وعد كاماتورى بمساعدتها.

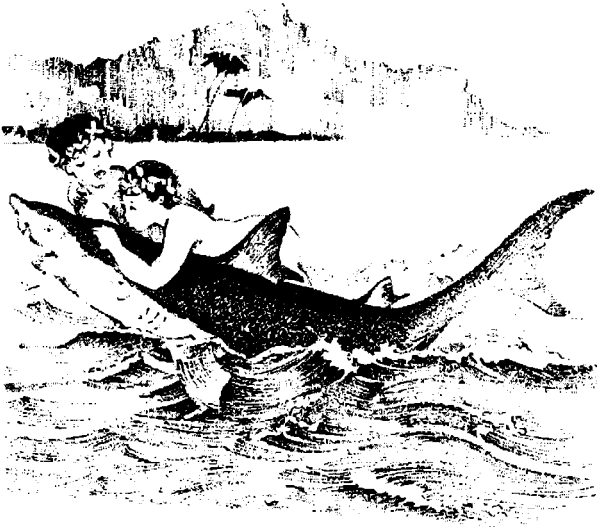
غطست المرأة فى الأمواج، بحبل حول جسمها لكى تطفو من جديد. وتحت الماء، اكتشفت قصرا من المرجان، محاطا بوحوش بشعة. وعلى أعلى برج، كانت عجلة الكريستال تلمع. ونجحت الشابة فى أخذها، غير أن الوحوش اندفعت إليها. وقد جُرحت بضربة خنجر وجعل دماها أعداءها الوحوش تفرّ، فزعة. وعلى الشاطئ، سحب صيادو السمك الحبل. وقيل أن تموت، أعطت الشابة العجلة، ووعدا كاماتورى بتربية ابنها وبجعله ساموراي.





سمك القرش فى تا'أروا (تاھيتى)

كان يوجد قديما سمك قرش بالغ الجمال يعيش بالقرب من شواطئ جزيرة. وكان اسمه إيريه وكان يعرفه كل سكان الساحل. وكان يأتى فى كثير من الأحيان إلى الشط، حيث لا يكاد الماء يكون أعمق من عدة أقدام، ويدفئ ظهره فى الشمس منتظراً خروج المدرسة. وعندما كان المعلم يحرر الأطفال كانوا يصلون صائحين فكان إيريه يبدأ فى ضرب زعانفه للنداء عليهم. وعندئذ، كانت تبدأ الألعاب وتستمر حتى الليل. وكان إيريه يأخذ الأطفال على ظهره، ويسرع إلى عرض البحر، ويقفز داخل الأمواج المسننة تماما بالزبد، ويغوص، ويطفو من جديد، ويقلد تمايل واهتزاز الزوارق المصنوعة بتجويف جذوع الأشجار... وباختصار، كان يعرف بصورة عجيبة كل الألعاب التى يمكن أن تسعد الصغار.



كان إيريه يأخذ الأطفال على ظهره

وزعم الناس أن هذا القرش كان ابن إله بحار كان قد تزوج قديماً من إلهة للأرض. ولم يعرف أحد على وجه الدقة أى إله وأى إلهة يقصدون، غير أنهم فسروا على هذا النحو طيبة إيريه وواقع أنه كان يجد كثيراً من السعادة فى صحبة الأطفال المولودين على البر والراغبين فى كثير من الأحيان أن يتعرفوا بصورة أفضل على البحر.

تواصلت الحياة على هذا النحو بالتأكيد وقتنا طويلا، ولكن الرجال ارتكبوا خطأ تصديق ما يحكى عليهم بكل سهولة. غير أنه ذات يوم فيما كان يقوم بصيد السمك بعيدا جدا عن الشاطئ، لمح راهوتى سمك القرش الذى كان يتجه بهدوء نحو الجزيرة. وواقفا فى زورقه، أشار إليه أن يقترب منه وسأله:

"هل لك أن تقدم لى خدمة؟"

- طبعا، قال القرش، أنا هنا لخدمتكم.

- تصور أننى وعدت ابنى بالذهاب للبحث عنه حوالى منتصف النهار. غير أن السمكة تعض أكثر فى هذه اللحظة، ولا أريد تضييع وقتى.

- حسنا، قال القرش، لا تزعج نفسك، سيستغرق الأمر خمس دقائق".

انطلق كالسهم نحو الشط حيث كان ينتظر الطفل الذى أخذه فى فمه مع ألف احتياط من أجل حمله إلى صياد السمك. وأسفاه! لم يمضِ الطفل فى الزورق ربع ساعة حتى هب إعصار. ولم ير الناس بعد ذلك مطلقا صياد السمك ولا ابنه. فقد عثروا فى الشط على بعض حطام القارب.

عندئذ، اعتبر آلهة البحر وآلهة البر التي لم تغفر لـ إيرييه أنه استطاع، أفضل منهما كثيرا، أن يكسب محبة البشر، وقدرت أن المناسبة كانت طيبة للعب دور شنيع ضده. وبالتالي أشاعوا أن ابن صياد السمك لم يمت في العاصفة، بل التهمه القرش. ولأن أشخاصا عديدين كانوا قد رأوا إيرييه اتجه إلى عرض البحر بالصغير داخل فمه، فقد سلموا بكل سهولة بأن الحيوان صار مفترسا وحذروا الأطفال من اللعب على الشط. وبالطبع فإن الأطفال كانوا تعساء جدا، وذهبوا للوصول إلى أخوين معروفين للجميع بقوتهما، وبراعتتهما، وشجاعتهما.

الأكبر سناً كان اسمه تاهي — أ — را، إى، الذى يعنى "أول الشمس"، وكان اسم الأصغر سناً تاهي — أ — نو، أو، الذى يعنى "أول الكثرة".

قطع الأخوان من الخشب المتين للغاية رمحين قاما بتقويتهما أكثر بالكي بالنار. ومسلحين على هذا النحو، اتجها إلى الشط وانتظرا القرش. ولم يكن عليهما أن يصبرا طويلا، إذ إن إيرييه المسكين، الذى كان حزينا لأنه لم يعد يتسلى مع الأطفال، توهم أن هذين الرجلين يدعوانه لى يلعب. ومع هذا، كان إيرييه يعرف ماذا يعنى الرمح وأدرك في الحال أنهما يضمران الشر لحياته. ومستفيدا بموجة

أقوى من الموجات الأخرى، انقضت فاغر الفم على الأخ الأكبر. وصل الرمح، الذى تلقاه داخل فمه وكسره كما يمكنك أن تفعل بغصن أملس جاف. غير أن الأخ الأصغر أطلق أيضا رمحه، وأصاب القرش قريبا جدا من القلب.

وصار البحر أحمر، ومال إيريه إلى جانبه، فاقتاداه بجزارة. أخذ الصبيان يطلقان صيحات الانتصار وناديا على أهل القرية ليحصل كل واحد منهم على نصيبه من القرش.

غير أن آلهة البحر والبر التى شهدت المذبحة أدركت أنها ذهبت أبعد مما تريد إلى حد ما. وبحرمان إيريه من أعباءه مع الأطفال، كانت تريد فقط إبعاده قليلا عن البشر. وقد فعلت ذلك بدافع الغيرة، غير أنها اكتشفت الآن أنه يجب أيضا تجنب البشر من باب الاحتراس.

"هذه الحيوانات التى تسير على قدمين خطيرة، قالت الآلهة. إنهم بالغو السرعة فى الانتقام ويتوهمون دائما أنه يراد بهم الشر. ها هنا درس ممتاز، ولكن على كل حال، ليس من الإنصاف أن يتحمل هذا الشجاع إيريه التكاليف".

ولأن الآلهة لا تحتاج إلا إلى القيام بإشارة لكى يتغير وجه العالم، فقد رفعت الأيدي وهب إعصار. أظلمت السماء فجأة، وبدأ

البحر يهتاج مثل حيوان استشاط غضبا، وتفجر مدّ بحرى هائل أرجع
الناس إلى سفح الجبال وقذف إيريه عاليا جدا فى الهواء.

طوقت السحب القرش الجريح، وهددته لحظة، وشفّت جرحه،
وأعدت إليه كل قوته قبل أن تتركه يسقط فى البحر، أبعد ما يمكن
عن البر.

استعاد إيريه حبه للحياة ووجد رفاق لعب آخرين غير صغار
البشر.

والتقى أيضا برفيقة، وصار لهم أولاد، وأحفاد، غير أن ذريته لم
تحاول مطلقا أن تشارك فى ألعاب أولئك الذين نسميهم بشرا.



فى تاهيتى، كان السكان مولعين بكل أنواع الأسماك، وبينها
أسماك القرش التى يعتبرونها رسالة من الآلهة أو ممثلة لروح
البحارة المختفين. وكانت أسماك القرش مولعة بأسرة لم يعد لأفرادها
ما يخشونه من هذه الأسماك. على العكس تماما، إذا حدثت لهم
مصيبة فى البحر كانت أسماك القرش هذه تمضى لنجدتهم وكانت

تعيدهم على ظهورها. ومن هنا صارت أسماك القرش، بصورة طبيعية تماما، أبطال حكايات عديدة. وهذه واحدة من بينها.

كان ثلاثة إخوة يسمعون عن أميرة جميلة جدا، هورى. وقرروا الذهاب للقيام بزيارة لها. وعندما رأتهم يصلون، طلبت هورى من خادمتها، هينا، أن تستقبلهم، أثناء استعدادها للقائهم. وكانت الخادمة طموحة غيورة. وجعلتهم يعتقدون أنها سيدتها وانطلقت بدلا منها على قارب الأمراء الثلاثة.

وعندما رأت هورى أن الخادمة خانتها، انطلقت، سباحة، لملاحقة الهاربين. ومرّ يوم وليلة لكى تلحق بهم، برغم العاصفة الشديدة.

وفى اللحظة التى وضعت الأميرة فيها قدمها على القارب، هدأت الرياح. صرخت هينا، الخادمة، بأن الأمر يتعلق بشيطان بحر، وقام الشبان، الممثلون رعبا، بإلقاء هورى من فوق حافة السفينة. وبالمصادفة التقط سمك قرش الفتاة.

احتفال كبير على شرف الأميرة المزيفة كان ينتظر المسافرين الأربعة فى تاهيتى. أما الخادمة، التى أصابها العار أمام هذا المشهد، فقد هربت واكتشف الإخوة الثلاثة عندئذ الحقيقة وسافروا بحثا عن الأميرة الحقيقية. وما كادوا يركبون الزورق حتى هبت عاصفة

عنيفة. ثم هدأت عندما وصلوا إلى المكان الذي قاموا فيه بإلقاء هورى فى الماء. أما القرش، الذى لم يتوقف عن مساعدة الفتاة، فقد قبل أن يعيد صديقته الجديدة لقاء قرابين عديدة.

وجرى تنظيم احتفال آخر فى تاهيتى، لعقد زواج هورى وأصغر الأمراء الثلاثة سنا.

صياد السمك ذو الشباب الدائم (اليابان)

كان أوراشيما ميزومو صيادا شابا عاش في المدينة الصغيرة سوجيكانا في إقليم يوركا. وربما كان هذا لا يوضح لك الكثير، ولكن لا أهمية لهذا مطلقا، لأن قصته يمكن أن تحدث في كل مكان يعيش فيه بشر، بالطبع بشرط أن توجد أيضا سلاحف.

ولأن صيادنا كان يتنزه على شاطئ بحر فقد رأى أطفالا يلعبون بسلحفاة صغيرة. وكان هؤلاء الأولاد المشاغبون قد أخرجوها من الماء، وقلبوها على ظهرها، وبقطعة مدببة من الخشب راحوا يُوسعونها وخزا ليجعلوها تحرك أرجلها ورأسها. وكان على الحيوان المسكين، عاجزا عن الفرار، أن يعاني كثيرا. سارع أوراشيما ميزومو إلى توبيخ الأطفال وأعاد السلحفاة إلى الماء. وفي بيئتها، استعادت السلحفاة البحرية في الحال كل قوتها واختفت.

بعد هذا بعدة أشهر، فوجئ أوراشيما، الذي كان يصطاد بعيدا عن الميناء، بهبة ريح عنيفة مزقت شراعه وحطمت قاربه. وكان

الصبي المسكين يوشك على الغرق، عندما ظهرت سلحفاة ضخمة ودعته إلى أن يأخذ مكانه على درعها.



دعته سلحفاة ضخمة إلى أن يأخذ مكانه على درعها

قالت: "أنت أنقذت ابنتي التي عذبها الأطفال. وهذه مناسبة غير متوقعة لكي أثبت لك عرفاني بالجميل".

قال الصياد: "كم هو جميل منك أن تقومى بإعادتي إلى الساحل. ؛ فقد أصبحت حقا في غاية الإنهاك".

لو نزلت السلحفاة عند رغبة أوراشيما، ما استحققت هذه القصة حتى أن نحكيها، غير أن السلاحف تملك أحيانا خيالا أوسع كثيرا من خيال البشر، وقد اقترحت السلحفاة على الغريق أن يجعله يكتشف فردوس المحيط.

قالت: "مادام لم يعد لديك لا مركب ولا شبكة، تعالَ إنن لترى ما لم يره بشر في يوم من الأيام. أؤكد لك أنه لن يكون عليك أن تأسف على الرحلة".

ودون أن تنتظر إجابته، تندفع نحو حفرة من أضخم حُقر المحيط. ولأنها كانت تسبح بسرعة فإنها لم تكن تحتاج مطلقا إلى أكثر من ساعة واحدة لتصل إلى قصر رائع من المرجان. انفتحت بوابة كبيرة مرصعة بالكامل باللؤلئ الكريمة، وصدحت موسيقى مثيرة للغاية رددت صداها تيجان الأعمدة التي أضاعتها أسماك ضخمة منتفخة الأوداج ذات جلد شفاف كانت تحمل في بطونها شموعا مضاءة.

نظر أوراشيما حوله، واكتشف أوركسترا من السلاحف كانت تتفخ في أبواق من الأصداف البحرية ذات أشكال عديدة. وكانت

سلاحف أخرى تدق بأرجلها على دروع فارغة، في حين كانت سلاحف غيرها تنقر على طحالب دقيقة تمتد بين أسنان سمكة قرش ظلت ساكنة، فاتحة شقوقها على اتساعه. وكان هناك عدد كبير جدا من العازفين المهرة الذين كان يحتاج إليهم بشدة الأخطبوط قائد الأوركسترا بأذنه الثمانية لكي يقود عالمه.

كان الصياد لم يُفَق بعد من ذهوله، عندما أحس بيد توضع على كتفه في حين غمغم في أذنه صوت امرأة:

"لم أتخذ مظهر سلحفاة إلا لكي أسيح لنجدتك، ولكنك ترى، فأنا ملكة القصر. ومنذ قرون ظللتُ أتمنى أن يرغب رجل طيب حقا في الزواج مني، وإنك أنت الرجل الذي سارع إلى نجدة واحدة من صديقاتي السلاحف".

كانت الملكة الشابة جميلة جدا، وكان صوتها عذبا جدا، وكانت نظرتها صافية جدا، وكان شعرها أشقر جدا، إلى حد أن الصياد لم يملك لحظة تردد.

احتضن الملكة، وفي الحال، بدأت الأوركسترا في عزف مارش الزفاف. ولم يشهد أيّ مراسل تليفزيون الحفلة لأن التليفزيون لم يكن موجودا بعد، ولكن يمكن إقناعك بأن هذا كان شيئا مختلفا عن حفلات الزفاف المترفة التي تعرض علينا اليوم.

يمكنك أن تتخيل بسهولة كم كان سعيدا هذا الصياد الشجاع الذي لم يعش من قبل إلا في كوخ متواضع. وقد وجد نفسه قريبا جدا من قرينته إلى حد أنه لم ير السنين تجري. وينبغي القول إن تغيير الفصول لا يترك على أعماق قاع البحر، ولا يسمح شيء هناك بقياس الوقت.

وذات يوم سأل أوراشيما زوجته: "كم من الوقت مضى على وجودي هنا؟".

قالت: "مرت ثلاثة أعوام، هل أنت قلق إذن؟".

"أبدا، وحتى إذا قلت لي إنني هنا منذ ثلاثة أشهر، فإنني سأصدقك تماما أيضا. ولكن لا بد أن أُمي العجوز صارت قلقة. وأنا متشوق جدا للذهاب لاحتضانها".

قالت له الملكة: "اذهب، لكن خذ معك هذه العلبة. وعليك على وجه الخصوص ألا تفتحها، لأنك إن فتحتها، سأكون مفقودة بالنسبة لك".

استردت الملكة درعها الخاص بالسلاحف، ومضت لتتقل الصياد إلى مسافة فراسخ من قرينته. وحالما اختفت، نظر أوراشيما حوله، واعتقد في البداية أن زوجته قادته إلى بلد مجهول لأن أشياء كثيرة كانت قد تغيرت. وفيما كان يسير في اتجاه التجمع السكني

الذي كان أشبه بمدينة منه بالقرية الصغيرة التي وُلد فيها، تعرّف الصياد مع هذا على منازل وصخور ومبان عامة كانت بالفعل تلك التي كانت في بلده القديم.

قال لنفسه: "ومع هذا، فعلت بها الأعوام الثلاثة كل هذا!".

ما أدهشه أكثر هو أنه لم يتعرف على أي شخص في القرية، التي كان يعرف، في كل مكان فيها، كل الناس. وأخيراً، عندما وصل أمام بيته، يحاول أن يفتح بابه، ولكن مفتاحه لا يدخل في القفل. ويقول لنفسه إنه لا شك في أن ثلاثة أعوام في قاع البحر قد تسببت في صدأ المفتاح، ويطرق الباب وينادي:

"ماما! افتحي! إنه أنا! أنا أوراشيما، ابنك!".

ينفتح الباب بالفعل، ولكن امرأة مجهولة هي التي تتقدم إلى العتبة وتصرخ:

"هل ترون هذا السكر الذي يبحث عن أمه عندي، هل تريد أن أطلب الشرطة؟"

ويقول أوراشيما: "عفوا، لكن أُمي كانت تعيش هنا، منذ ثلاث سنوات، عندما تركتها".

"ثلاث سنوات؟ لكنني أملك هذا البيت منذ أكثر من ثلاثين سنة. دعني وشأني، ياشارب الكحول!".

وتصفق الباب في وجه الصياد التعيس الذي لم يعد يعرف مطلقا فيم ينبغي أن يفكر. ويبقى مذهولا لحظة تمتد طويلا، ثم يبدأ في سؤال المارة الذين يدهشهم جميعا زيه العتيق ويعتقدون أنه أبله. ويصل في الحقيقة إلى حد اليأس، عندما يلتقي أخيرا بامرأة عجوز تقول له:

"منزل الصياد أوراشيما ميزومو، لكن هاهو المنزل. إنه هناك، في نهاية شارع الميناء. أنا أعرف هذا المنزل جيدا، عشت دائما بجواره. يمكنني حتى أن أقول لك إنني كنت أعرفه، ذلك الصبي. عجبا! في الزمن الذي مات فيه غريقا في البحر، كنت في الثامنة، أما هو، فلا بد أنه كان في العشرين... ولكن، انحن قليلا حتى أنظر إلى وجهك عن قرب! شيء غريب، هذا عجيب، لكنك تشبهه وكأنك أخوه. فهل أنت من أسرته؟"

"لكن، أنا ... أخيرا ... إنه ..."

"ما بالك، يا بني؟ أراك متأثرا جدا. مع هذا يمكن أن تكون لم تعرفه! هيا بنا، تعال إلى منزلي، كأس صغيرة سوف تتعشك ... تعال، اسمي كيبوهيمي."

وبنصف وعي، دخل أوراشيما هذا المنزل الذي عرف فيه فتاة صغيرة جدا اسمها كيبوهيمي. وعندما ابتلع كأسا من الكحول القوي جدا، أحس بأنه أفضل قليلا وقال:

"أنا أوراشيما ميزومو، وأنا أعرف أنني لم أغادر هذه القرية
إلا منذ ثلاث سنوات".

انفجرت العجوز ضاحكة، ثم أخذت تحكي كل ما جرى منذ
رحيل جارها. أمه ماتت حزنا عليه. وبيع منزلها، وتغيرت القرية،
المواليد، الزيجات، الوفيات ...

وكلما واصلت الحكى، أحس أوراشيما بقلق مفزع يثور
بداخله. هل كان السر في العلبة التي عهدت بها زوجته إليه؟ وناسيا
التوصيات التي قدمتها إليه، فتح العلبة التي تصاعدت منها في الحال
سحابة بنفسجية غطت وجهه. وعندما تلاشت السحابة وتوقف الصياد
عن السعال، أراد أن ينهض، غير أن ألمًا حادا عصر كليتيه. ومنحنيا
إلى الأمام، ومستندا إلى الجدار، نجح في السير إلى حيث المرأة التي
أعادت إليه صورة شيخ أصلع تعلق وجهه التجاعيد.

كيبوهيمي، التي كادت الدهشة تفارقها، رفعت المصباح نحوه
وعلقت:

"حقا، إن نظري يضعف أكثر فأكثر. في الخارج، كنت أراك
شابا. ولكن هذا صحيح حقا. أنت أوراشيما حقا ... وأعتقد حتى أنك
تبدو أكبر من عمرك".

لم يقل الشيخ شيئا. وببطء، وعلى ساقيه اللتين كانتا ترتعشان،
 خرج وسلك اتجاه الشاطئ. وعلى الشط، قام بدورة ليتفادى أطفالا
 كانوا يتسلون بتعذيب سلحفاة بحرية مسكينة تعذبا شديدا. وظل جامدا
 بلا حراك حتى الغروب، محدقا إلى البحر حيث كانت الغيوم تمزج
 ظلالها الرمادية بالظل الرمادي للأمواج. ثم، عندما خفت آخر
 أضواء النهار، جرجر أوراشيما قدميه بمشقة إلى كهف محفور في
 الشاطئ الصخري، وهناك، تمدد على الرمال، وانتظر بهدوء ساعة
 المدة، وأخذ يتلو صلاة المحتضرين.



في الزمن الذي عاش فيه أوراشيما ميزومو، كان الناس لا
 يذبحون السلاحف في اليابان. وعلى العكس، كانوا يعتبرون أنها،
 وهي رعايا الله في البحار، قد تعيش عشرة آلاف عام، ولم يكن لدى
 أى شخص فكرة إساءة معاملتها.

وبنفس الطريقة، في مدغشقر، فإن كل ما ينتمي إلى البحر له طابع مقدس. وعلى هذا النحو فإن بعض الأشخاص لا يستعملون الملح أبدا ولا يأكلون إلا سمك المياه العذبة. وبالنسبة للسلاحف، ينطبق الشيء نفسه. والملاجاشيون لا يلمسونها أصلا، وإذا أنت التفتت بإحدى السلاحف في بداية رحلة فإنهم يؤكدون لك هناك أن الأمر يتعلق بقال حسن.

وبطبيعة الحال فإنه يعيش في هذه الجزيرة الكبرى، سلاحف برية أيضا. غير أن الرب صممها، في الأصل، للماء المالح، ولا يجب أن يأكل البشر إلا حيوانات تعيش على الأرض. ومن جهة أخرى، فإنه لو لم تكن إحدى السلاحف فضولية بصورة غير مفرطة فربما ما كان لنا مطلقا أن نلمح هذه الكائنات البطيئة الثقيلة على الأرض، فهكذا تحكى لنا خرافة ملاحاشية.

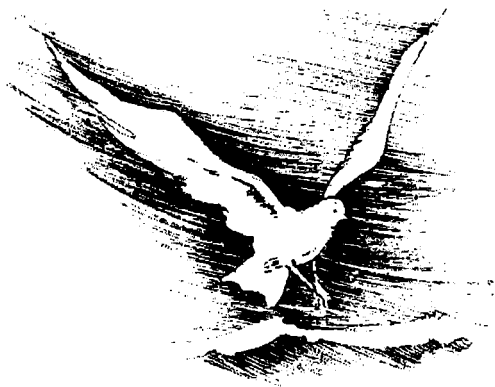
رغبت سلحفاة، كانت تعيش دائما في المحيط، أن تعرف الأرض وسكانها. واقترح عليها طائر أن يساعدها كدليل، واتجها معا نحو داخل البلاد.

وبعد مرور بعض الوقت، بدأ حيوان البحر المسكين يشكو وينتحب. إذ كان من الصعب جدا أن ينتقل على هذه الأرجل

الصغيرة جدا وأن يحمل هذا الدرع السميك. وبدأت السلحفاة توجه اللوم لصديقها. دَبَّ خلاف بين المسافرين. وترك الطائر، غاضبا، رفيقه على طريق العودة.

ومنذ ذلك اليوم، صارت سلحفاة البحر سلحفاة البر. إنها تائهة، مع أطفالها، دون أن تتمكن من العثور على الطريق المؤدى إلى الشاطئ، ولا العثور على دليلها، الذي كان يود، دون شك، أن يتصالح معها.





جلاوكوس وسيلا

(اليونان)

تتنمى هذه القصة إلى الأساطير الكبرى. وقد رُويت فى كثير جدا من الأحيان إلى حد أننى أكاد لا أجرو على المخاطرة بروايتها مرة أخرى، ولكن ماذا؟ إنه ينبغى حقا أن يتم تقديم مثل هذه الشخصيات الأسطورية الأكثر شهرة هنا. ثم إنها ذات أهمية كبيرة للبحر.

كان جلاوكوس، الذى ولد فى أنثيدون، يقيم على شاطئ البحر ليمارس هناك حرفة صياد السمك. وقد عاش الحياة المألوفة لكل صيادى السمك، إلى اليوم الذى حدثت له فيه مغامرة غريبة. ذلك أنه بعد أن سحب قاربه إلى الشط قام بتفريغ سلة مليئة بأسمك جميلة أنزلها على الأرض لبيعها. وبالطبع فإن الأسماك التى كان قد اصطادها فى الليل كانت مية منذ ساعات. على أنه ما كاد جلاوكوس ينتهى من ترتيبها وفقا للحجم حتى أخذت كلها تهتز، وتقفز، وتتولى إلى أن عادت كلها إلى البحر قبل أن يكون بوسع صياد السمك أن يتدخل.

شيء غريب، قال لنفسه. هذا ليس عاديا!".

فكر لحظة، ثم مقتنعا بأن عشب الشاطئ يملك القدرة على منح الحياة والقوة، أكل منه ملء يديه. وجاءت النساء لشراء السمك وعندما رأيته أصابهن الفزع. وبالفعل فبمجرد أن امتص جلاوكوس العشب تمدد على الأرض وأخذ يتلوى، ويتثنى، ويقوم بقفزات نحو البحر. وفيما كان يستسلم لهذه التمارين غير المتوقعة، كان جسمه يتحول. ساقاه الاثنتان التحمتا ببعضهما وصارتا ذيل سمكة، وجذعه تغطي بالقشور، ويدها تحولتا إلى زعانف، واتخذ شعره ولحيته لون الطحالب وقوامها. ولم تفق النساء من ذهولهن إلا عندما كان جلاوكوس قد اختفى بالفعل، وجرفه انحسار الأمواج.



أخذ جلاوكوس يتلوى

سبح جلاوكوس طويلا، حتى الصخور التى تحيط بجزيرة
ديلوس حيث أقام داخل كهف تحت البحر.

لقد ما حدث: آلهة البحر جعلته ضمنها. ومنذ ذلك الحين، عرف
حياة مليئة بالمغامرات كانت المغامرة الأفظع بينها دون شك لقاءه مع
سيلا، إحدى أجمل حوريات الأوليمپ.

ففى صباح أحد أيام الربيع كانت فيه السماء صافية والبحر هادئا
للغاية، لمح جلاوكوس سيلا التى كانت تستحم فى خليج صغير حيث
كانت الأمواج قد قامت بترسيب الرمل الأشقر مثل شعرها، والناعم
الملمس مثل بشرتها. وبمجرد أن رآها، وقع جلاوكوس فى حبها.
واقترب ليطلب الزواج منها، غير أنه كان قبيحا جدا بشعره الأخضر
وجسمه المغطى بالقشور إلى حد أن الحورية أصيبت بالذعر وهربت
داخل الجزيرة. وغير قادر على اللحاق بها فقد أخذ يتوسل:

"تعالى. لا تهربى منى. أنا لا أريد إلا سعادتك. أنا أحبك.
وسأكون قادرا على إسعادك!"

غير أن صوته الأجش كان يتسم بشيء من زمجرة وحش،
وكلما صرخ بصوت أعلى كانت الحورية المذعورة تقفز من صخرة
إلى صخرة.

ومقتنعا بأنه لن ينجح مطلقا فى إغوائها، مضى جلاوكوس للبحث عن سيرسى التى كانت أشهر الساحرات. وكانت سيرسى، ابنة الشمس، قد سممت زوجها، ملك السارماتيين. ولأن رعايا الملك المتوفى كانوا يلاحقونها فقد هربت مسئولية على كنوز كبيرة. ولأجثة إلى سواحل صقلية، أمرت بأن يُبنى لها فى جزيرة آيبا الصغيرة قصر خرافى تحرسه حيوانات شقراء متوحشة كانت قد استأنستها بمساعدة أدوية حيوانية سحرية. وكان الجميع يخشونها، لأنهم كانوا يعلمون أنها تملك أسراراً مفزعة.

وبالطبع فلأنها لم تكن تشبه أى امرأة أخرى، لا جسمانيا ولا خلقيا، فإن قبح جلاوكوس كان يلذ لها كثيرا. وقد اقترحت عليه فى الحال أن تصنع منه أغنى الآلهة وأقواها، غير أن جلاوكوس أجاب: "أنت لطيفة جدا. ولكننى لسوء حظك أحب سيلا وقد جننت على وجه التحديد لأطلب منك أن تساعدنى فى إغوائها".

فى البداية بدت الساحرة حزينة جدا، ثم، بعد لحظة من التأمل، قالت:

"هذا مفهوم، وما دمت مشغوقا بها، فسأعطيك شرابا للحب، ويمكن أن أؤكد لك أنها لن تستطيع أن تقاومه".

أشعلت ناراً وضعت عليها قنراً من الذهب. وداخل هذا القنر، أخذت تغلى أحشاء طائر القطرس، وعيني فأر الماء، ورماد عظام جاموس، وقبضة من الفلفل الأحمر، ووردة بيضاء وثلاث حصوات صغيرة لامعة. وعندما صارت المواد المغلية جاهزة، ذاقته، وأعطت انطباعاً بأنها وجدتها ممتازة، وصبتها في وعاء زجاجي أعطته لـ جلاوكوس قائلة له:

"ستقوم بتفريغ محتوى الوعاء الزجاجي في ماء الخليج الصغير حيث تأتي جميلتك لتستحم ثم ستختفي وراء صخرة وتنتظر".

انصرف جلاوكوس سعيداً جداً، وبعد أن صب شراب الحب في البحر أخذ يراقب، وكان ينتظره لمدة قصيرة، لأن سيلاً، جميلة أكثر من أى وقت مضى، ظهرت مع أول أشعة للنهار. وألقت شعرها الطويل وراء ظهرها، وجعلت رداءها ينزلق بطول جسمها، ثم، بقفزة رشيقة، غاصت في الماء.

عندئذ شهد جلاوكوس مشهداً جمده من الرعب. حدث وكان كل مياه الخليج الصغير أخذت فجأة تغلى. ولم يكن للثورة المفاجئة لبركان تحت الماء أن تثير دوامات أكثر. الجمال الأزرق الشفاف للأمواج أفسح المكان لأحوال خضراء، وشققت السطح فقاعات ضخمة، وتكونت أمواج بارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار لتصطدم

الواحدة بالأخرى قبل أن تذهب لتجلد الصخور والشاطئ وسط الظهور المفاجئ لزبد مائل إلى الصفرة. وبعد عدة دقائق من هذه العاصفة الغامضة، ظهر وحش على السطح وأخذ يطلق صيحات مفزعة. وضع الوحش أقدامه على الرمل واستطاع جلاوكوس أن يراه بالتفصيل بصورة أفضل قليلا. كان يتقدم ببطء ثقيل على دزينة من الأرجل المغطاة بالشعر والمسلحة بمخالب مسنونة. ومن جسمه المشوه كانت تخرج ست رقبات طويلة جدا كانت تحمل ست رؤوس ذات أعين حمراء كالدّم. وسمحت الأشداق الستة برؤية صف ثلاثي من أسنان شبيهة بأسنان الذئاب. تواصلت الصيحات، فكانت تذكر بصوت أعنف العواصف. وصارت نائحة وأليمة عندما قام الوحش، منحنيا على الرداء الأبيض المستقر على الرمل، بتمزيقه بمخالبه وأسنانه المعوجة.

وفكر جلاوكوس في كل الشر الذي قاله عن سيرسى ففهم أنها انتقمت لنفسها منه بتحويل تلك التي أحبها.

يائسا وعاجزا، تابع الوحش الذي ألقى بنفسه من جديد في الماء وسبح في اتجاه صقلية. واعتقد للحظة أن الحيوان الشرير ذاهب لعقاب سيرسى، ولكن لا، فلم يكن أحد يستطيع أن يفعل شيئا ضد الساحرة. وعندما وصل إلى مدخل المضيق، قبالة هاوية شاربيدي،

تجمد الوحش، وقامت الأمواج، دون إزالة أى شيء من قبضه،
بتحويله إلى حجر.

وهو ما يزال هناك إلى اليوم، فى صورة صخر بحرى يخشاه
البحارة ويطلق زمجرات مفزعة عندما يهيج البحر. ويقال حتى أن
أذرعته الطويلة تمتد وأن إحداها أمسكت دفعة واحدة بستة بحارة
عندما كانت سفن يوليسيس تعبر المضيق.

غير أنه لم يحدث مطلقاً أن نجح جلاوكوس ولا سيلافى الانتقام
لنفسهما من سيرسى.



تحت اسم الحوريات، صنف الإغريق كل إناث الآلهة اللاتى
اتخذن سكنهن فى البحار، والغابات، والأشجار، والجبال. ولأنهن كنَّ
بنات زيوس، كان القدماء ينسبون إليهن مواهب كبيرة. كنَّ، على
سبيل المثال، يحمين الخطاب ويشفين المرضى.

وفى الميثولوجيا الإغريقية، يصل عدد الحوريات إلى الآلاف، ومنهن النايادات (حوريات الأنهار والبحيرات) اللاتى اخترن السكن فى الأنهار، والنيرييدات (حوريات البحر) اللاتى كنَّ يعشن فى البحار. وبعضهن صرْنَ شهيرات، مثل سيليا، بفضل المؤلف اللاتينى أوفيد Ovide.

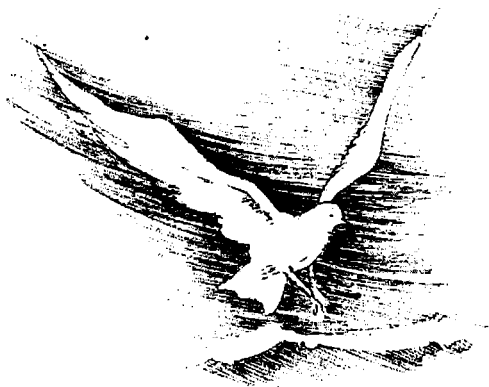
وليس هناك ما يدهش فى واقع أن سيليا هربت من حب أحد الآلهة. فعندما كانت الحوريات يتخلين عن إله، كنَّ يرين أنفسهن مجبرات إما على قتل أطفالهن، وإما على أن يمئنَ هن أنفسهن. ومن أجل تفادى مصير قاس إلى هذا الحد، كانت بعضهن تتخلى عن هينتها البشرية. وكانت هذه حالة نيرييدى، هى أريثوزى، التى جرى تحويلها إلى نافورة هربا من صداقة الإله النهري ألفى. كما أن دافنى، وهى حورية أخرى، يعنى اسمها "الغار"، لاقت المصير نفسه تقريبا. ومرة أخرى كان أوفيد هو الذى روى لنا هذه القصة.

دافنى، ابنة نهر بينى، رفضت الزواج من بشر فان، ولسبب أقوى الزواج من إله. إذ إنها أحببت الحرية. وفى نظرها، لم يكن للحب أن يكون إلا مصيدة. ومع هذا فإن الإله أبولون، بعد أن لمحها ذات يوم، عشقها فى الحال واندفع فى مطاربتها. هربت النيرييدى الشابة. وكانت بارعة فى السباق، وعانى

أبولون بعض الصعوبات فى ملاحقتها. ومع هذا فقد نجح فى الاقتراب منها. مذعورة، ولكن مستعدة للصراع حتى النهاية، اندفعت دافنى فى هروبها، عندما رأت أمامها نهر أبيها. صرخت "أبى، ساعدنى، أنقذنى!".

فى الحال، استولى خدر عليها، وانغرزت قدمها فى الأرض. وأحاطت بها بالندريج قشرة، وظهرت فجأة أوراق شجر. وتحولت دافنى إلى غار.

وإنما على هذا النحو صارت الغار الشجرة المفضلة عند أبولون.



ملكة بحر البلطيق

(ليتوانيا)

لا أعلم ما إذا كنتم قد دخلتم بيتا من بيوت صيادى السمك على ضفاف بحر البلطيق، أما أنا فإننى لم أر مطلقا مسكنا مليئا بنفس القدر من الأسرار، والشعر، والدفء. الغرف صغيرة، والجدران مغطاة بالخشب وبلاط الخزف، ويدخل الضوء الرمادى من خلال نوافذ ضيقة ذات ألواح زجاج صغيرة تطلّ على عرض البحر. وفى أحد هذه البيوت، وأمام موقد مرتفع مزخرف تطلق نار جذوع الصنوبر فيه بصوت خافت، استمعتُ إلى بحار عجوز يحكى قصة جوراتا الجميلة.

وجوراتا، التى كانت تحكم البحار، كانت تسكن فى قصر تحت البحر تتكدس فيه الكنوز. وكان يحيط بها ما لا يحصى ولا يعدّ من الخدم الذين كانوا يسهرون فى آن معا على راحتها وعلى أمن رعاياها. ولكن، ذات يوم جاء يقصدها سرطان بحرى عجوز وقال لها:

"أنت تعلمين أننى، منذ وصلت إلى سن التقاعد وصار أولادى يتكفلون بإعاشتى، اعتدت أن أذهب عصر كل يوم للقبولة داخل تجويف صخرى، قريبا جدا من الساحل. وأنا عجوز، لكننى ما أزال أملك الأذن المرهفة، وقد سمعت صيادى سمك يتكلمون عن شبكة جديدة تماما لا تستطيع أية سمكة أن تتجو منها. ويبدو أن صيادا شابا، اسمه كاستيتيس وهو مقيم على شاطئ نهر إسفينتوجيا، هو الذى قام ب نصب آلة الموت هذه".

الملكة، التى كانت تملك مجموعة رائعة من خيول السباق، استدعت فى الحال أسرع ثلاثة وثلاثين من سمك الكراكى وأمرتها بالانطلاق للبحث عن حوريات الماء الثلاث والثلاثين الأكثر جمالا فى العالم. انطلق فرسان السباق كالسهم، ومن المحيط الهندى، ومن المحيط الأطلنطى، ومن المحيط الهادى، ومن القطب الشمالى، ومن بحر الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط، ومن بحر الصين وبحر اليابان، وأخيرا، من كل جهات العالم، وصلت حوريات الماء الأكثر شهرة. وجمعتهن جوراتا فى مجلس حول مائدة من المرجان، وأصدرن حكما بالإجماع بالسجن المؤبد على صياد السمك كاستيتيس.



حوريات الماء الأكثر جمالاً في العالم

وتم إعداد كهف تحت الماء يقضى فيه أيامه دون أن يرى مرة أخرى أبداً أى شخص، تحت حراسة أخطبوط عملاق لم يعرف عنه المزاح فى الخدمة.

ولم يبق بالتالى إلا القبض على المخترع، وفكرت الملكة فى أنه إذا أخذت الحوريات كلهن يغنين معها فإنه سيُصاب بسحرهن ويقبل أن يغتسل ليلحق بهن.

وتتطلق الجماعة بالتالى وكل هذه الكائنات الحسنوات جالسات على حافة الشاطئ أخذن يغنين. كاستيتيس، الذى كان أمام كوخه وكان ينكب على اختراعه، رفع رأسه ورأى الحوريات. وكان عليه أن يقرص ذراعه ليطمئن إلى أنه لا يحلم. كان لم يشاهد من قبل مطلقاً حفلاً شبيهاً بهذا. سمرآوات، وشقرآوات، وأسماك شرطة،

بعضهن بيض، وأخريات سود، أو صفر، أو بلون المغرة [أكسيد الحديدك]، لكنهن كلهن جميلات للغاية. غير أن أكثرهن تألقا كانت چوراتا، بعينها الواسعتين الخضراوين وشعرها الذهبى الطويل الذى تتلأأ منه ماسات ضخمة كالنجوم.

عندما انتهى الغناء، نهضت چوراتا ببطء وسارت وحدها نحو صياد السمك. ولأنها كانت تعيش دائما تحت البحر فإنها لم تر مطلقا صبيا وسيما مثل كاستيتيس. ظلت تتأمله طويلا، ثم استدارت نحو رفيقاتها وقالت لهن:

"لا أحد يسجن الجمال، عُذَنَ إلى بيوتكن، وسأبقى هنا، وأنا أتعهد بأن أعيد هذا الرجل إلى صوابه".

لم تجرؤ حوريات الماء على الاعتراض، ولكنهن غيورات قليلا من الملكة وغازبات لأمرهن بالانصراف بدون داع، وفى طريق انصرافهن، مررن بالقصر ورَوَيْنَ لوالد چوراتا أن ابنته تواطأت مع العدو.

وبطبيعة الحال فإن الملك الهرم بيركوناس، الذى كان قد نقل سلطاته إلى ابنته لأنه منحها كل ثقته، غضب غضبا شديدا. وصرخ بصوت مرتفع جدا حتى أن كل سكان سواحل بحر البلطيق ظنوا أن عاصفة هوجاء على وشك الهبوب. وجمع الملك ناسَ تحت الماء، وأمرهم:

"اذهبوا، واغزوا البرّ. اقبضوا على ابنتى وعلى من اغواها، واقتادوهما ميّتين أو حيّين".

زحف جيش ضخم من القشريات، والأصداف، والأسماك بقيادة حوت ضخم وتوجّه إلى مصب نهر إسفتوجيا. الحوت الذى كان يتقدم الجيش كان كافيا، وحده، لسدّ كل عرض مصب النهر. وأحدث كل هذا اضطرابا لا يوصف، وكان على قوات الجيش أن تتقهقر فيما كان الجنرال يئنّ:

"اجذبونى إلى الوراء، أنا محشور. أسرعوا إلى نجدتى".

كان على سرطانات البحر أن تقضم الضفتين لتخليص قائدها، وأرجوكم أن تتخللوا الجهد الذى لم يكن صغيرا. عندما عرف بيركوناس ما حدث صار لونه بنفسجيا من الغضب.

"أنت جعلتني موضوعا للسخرية، صرخ مخاطبا قائد جيوشه. من المؤسف أنه ليس عندى سجن كبير بما يكفى لوضعك فيه، وإلا فإني كنت ستقضى حياتك فى زنزانة. اغرب عن وجهى! لا أريد أن أراك مرة أخرى فى بحر البلطيق".

رحل الجنرال، وهدأ الملك وانتهى إلى الإقرار بأنه كان أيضا مسئولا إلى حد ما عما حدث. لا أحد يرسل السمك للهجوم على برّ. "هذا صحيح، استنتج، سأستخدم وسائل كبرى".

وأطلق على بحر البلطيق عاصفة لن يرى أحد مثلها أبدا. هدمت العاصفة قصر جوراتا، غير أن هذا كان لا أهمية له، لأن الملكة الشابة لم تكن لديها أى رغبة فى ترك كاستيتيس. كانت قد أدركت أن الحياة فى كوخ متواضع لصياد سمك فى صحبة الكائن الذى تحبه أفضل كثيرا من أغنى حياة فى العزلة. وباختصار، كانت قد اكتشفت أن الغنى الحقيقى ليس فى المجد ولا فى القوة، ولا فى الثروة، لكن حقا فى بهجة الحب.

وا أسفاه! كانت كراهية أبيها أقوى من كل شيء. لأن الكوخ أيضا جرفه الموج الهائج، ومات العاشقان مهروسين تحت الأنقاض مثل آلاف الأبرياء الذين لا شك فى أنهم لم يستحقوا أبدا غضب ملك المحيطات.



فى كثير من الأحيان، كان أسلافنا يعمرن قاع البحار بمعبودات، مثل جوراتا، ملكة بحر البلطيق. وبين كائنات المياه هذه، ينبغى أن نذكر النيريديات الإغريقية. وكانت هذه الحوريات يعشن فى البحر الأبيض المتوسط، فى قصر يتلأل بالأنوار، يقمن فيه بتسلىة أبيهن، نيريه، بأغانيهن ورقصهن. وكنّ يظهرن أحيانا على سطح الماء، راكبات سمدل الماء أو الخيول البحرية. وكنّ نصف نساء ونصف أسماك، وكانت بعضهن شهيرات.

واحدة منهم، أكثر سعادة من جوراتا، تزوجت إنسانا. وشهد كل آلهة الأوليمپ أعراس حورية الماء نيتيس وبيليه. إنها نفس نيتيس التي أنجبت أخيل العظيم.

وفى تاهيتي، يتحدث الناس أيضا عن زواج حورية ماء من كائن بشرى.

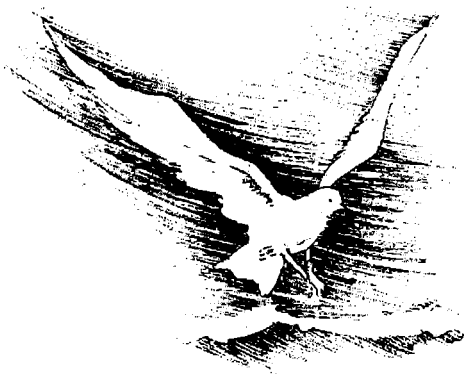
ولم تكن "هينا" امرأة غنية جدا، ولكنها كانت تريد إسعاد ابنها الأثير، "هيماء". وذات يوم، توسلت إلى الصبى أن يذهب فى الصباح الباكر إلى الشاطئ وأن يحفر حفرة يختفى فيها. وعندئذ ستأتى امرأة رائعة لتستحم. وسيكون على "هيماء" أن يمسكها من شعرها ويحملها إلى ما وراء البيوت الأربعة الأولى فى القرية قبل أن يدعها تلمس الأرض. وإن نجح فإن الربة ستتزوج.

مع طلوع النهار، توجه "هيماء" نحو النهر. ورأى حورية الماء تصل وتغوص فى الماء وتعود بعد ذلك بقليل إلى الشاطئ لتجفف شعرها الكث. أسرع الشاب، وأمسك بشعر الشابة، وخطفها.

أخذت الربة تصارع وتتوسل إلى مختطفها أن يطلق سراحها. "هيماء"، معتقدا أنها ستسير بجواره، وافق على هذا، ولكنها كانا لم يصلا بعد إلى البيت الثانى، فهربت الحورية.

فى اليوم التالى، عاد "هيماء" إلى النهر. وفى ذلك اليوم، كان أقل سذاجة بكثير. وعندما ظهرت تلك التى أحبها من قبل، أخذها إلى مسكنه، دون أن يتوقف. قررت "هورى"، وكان هذا اسم الحورية، أن تتزوج ابن "هينا". وأنجبا طفلين فى غاية الجمال، وعاشوا جميعا سعداء على خير ما يرام.





سرّ المدّ والجزر (الجزر الأنجلو نورماندية)

يفسر العلماء حركة المدّ والجزر باجتماع دوران الكرة الأرضية والجاذبيتين القمرية والشمسية. ولن أخاطر بمعارضتهم، وإذا كنتم متشوقين لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع فإنه يمكنكم أن تطلبوا بعض التفسيرات من مدرس الجغرافيا. ومع هذا، دعوني أروى لكم ما أسرت به إلى امرأة عجوز من جزيرة جيرنيسي. وعلى كل حال فإن التفسيرات العلمية شيء، وذاكرة الناس الذين يغوصون في ماضى أسلافهم شيء آخر. وبين العلم والشعر ينبغي أحيانا أن ننجح في إقامة توازن أترك لكم العناية بالعثور عليه.

هذه العجوز الجزيرية روت لى إذن قصة رئيس لدير ليهون الذى كان يشغل نفسه دائما بالسحر أكثر من وظيفته الوعظية. وكان الجميع يرتابون فيه، لأن بعضهم أكدوا أنه استسلم لممارسات غريبة. وراه بعضهم يتحدث مع العديد من الشياطين ذوى القرون، وفاجأه آخرون وهو يلقي فى النار بكتب أخذت تتقاذف مثل الضفادع بمجرد أن بدأ اللهب يلغتهم. وما يدعو إلى عدم تصديق هذه الشهادات هو

أنه لا أحد شاهد في يوم من الأيام كتابا واحدا يخرج من موقد، وأن وصف الشياطين قريب جدا من الوصف الذي يمكن أن نعطيه للتيس الأكثر عادية.

ومع هذا فإن الأمر الأكيد بصورة مطلقة هو أن رئيس الدير كان يملك كتاب الطلاسـم Grand Mêlé، وهو الكتاب الأكثر خطورة كما نعرف. فهو يحتوى على كل أسرار كل الطلاسـم المؤنفة وكل أعمال السحر. وهذا يوضح لكم إلى أى حد ينبغى الارتباب فيه. لا تسألونى ماذا يشبه، فأنا لم أره مطلقا وليست لدى أى رغبة فى رؤيته، لا من قريب ولا من بعيد. ودائما كان رئيس الدير هذا يخبئ بعناية هذا الكتاب، وكان يبحث فيه عن السر الأكبر.

• وينبغى أن أقول لكم أن رئيس الدير هذا كان يقيم فى جزيرة صخرية صغيرة غير متصلة بالجزيرة الرئيسية باليابسة إلا خلال الجزر. غير أنه ذات يوم عاد فيه على القدمين من جيرنيسى، فوجئ رئيس الدير باكتشاف أن البحر ارتفع فى الوقت الذى كان فى ساعة الجزر الأشد انخفاضاً.

وأخذ يركض، غير أن الموج كان سريعا جدا إلى حد أنه أدرك فى الحال أن شيئا ما خارقا للطبيعة قد حدث. وفى نهاية عصف الريح، كان عليه أن يتوقف ويتسلق على صخرة. وعندئذ، ناظرا

نحو الشاطئ، رأى خادمه جالسا على كومة من أعشاب البحر الجافة وكان يقرأ كتاب الطلاسم.

كان رئيس الدير على علم تام بالأشياء الشريرة بما يكفى لجعله يفهم فى الحال الشيء الذى سيكون ضحيته بعد قليل.

"ايو، صرخ. ها أنت قد صرت مجنوننا! ألا ترى إذن أننى أوشك على الغرق؟".

الخادم، الذى لم يتوقع سيده فى مثل هذه الحالة، اضطرب، وأغلق الكتاب، ونهض بسرعة.

"لا! صرخ رئيس الدير. لا تفعل شيئا كهذا. ابق هادئا وافعل ما سأقوله لك. عُدْ إلى الصفحة التى كنت تقرأها... بسرعة... بسرعة... بسرعة.

- "لكننى لم أعد أعرف أى صفحة كانت...، تلجلج المسكين. لم أعد أعرف".

ومرتجفا مثل ورقة شجر، عاد يتصفح الكتاب بسرعة.
"إنها فى الموضع الذى يوجد فيه صورة تمثل موجة ضخمة فى شكل شيطان. ابحث بسرعة. إنها عند ثلثى الكتاب.
- ألا تعرف رقم الصفحة؟"

- بالطبع لا. أنا أعرف هذا الكتاب عن ظهر قلب، لكنني لم أعرف مطلقاً أرقام الصفحات! هيا، أسرع. وإلا سأموت".
- تكسرت الأمواج بفرقة على الصخر داخلة إلى حيث كان المسكين، الذي كان مبتلا بالرذاذ بالفعل، يتشبث.



تكسرت الأمواج على الصخر

"ها هي الصفحة، صرخ الخادم. لقد وجدتها. ولكن ما العمل؟

- عُدْ إلى حيث كنت في الكتاب، ولكن اقرأ بالمقلوب

- ماذا قلت؟ هل ينبغي أن أواصل القراءة؟"

كانت ضجة الدموع مرتفعة بحيث تلاشت الأصوات.

لكن لا، أيها الأحمق. إذا فعلت هذا، سأهلك. ينبغي أن تقرأ
بادئا بالنهاية وعائدا إلى البداية".

لا أعرف ما إذا كنتم قد جربتم بالفعل أن تقرأوا نصا بالمقلوب،
لكننى أدعوكم إلى أن تفعلوا هذا، وستدركون أن الخادم المسكين قد
أصيب بالجنون.

ومع ذلك فقد بدأ يتلجج بكلمات غير مترابطة، غير أنه أخطأ،
وعاد إلى الوراء، ثم إلى الأمام، ونسى كلمة، وفاصلة، وأضاف
ترقيما دون أن يرغب فى هذا، حتى البحر، بدلا من أن ينحسر، دخل
فى الهيجان الأكبر.

ولم ير أحد مطلقا مداً يمثل هذه السرعة مصحوبا بمثل تلك العاصفة.
وعندئذ، وقد استولى عليه الذعر، مطاردا بالأمواج التى انقضت
تهاجم الجزيرة، ابتعد الخادم عن الشاطئ. وحالما صار محتميا
بالحاجز، عاد هادئا أكثر، يقرأ بالمقلوب. عندئذ هدا البحر وانحسر
الموج بسرعة. غير أن هذا كان بعد فوات الأوان. ولم يعثر أحد
مطلقا على الكاهن المنتهك للمقدسات، أما الخادم الذى أفزعته القوة
الغريبة لكتاب الطلاس فقد حاول تدميره، غير أنه يبدو أن البحر لفظ
الكتاب كما يقذف سمكة وأنه ما من موقد قبل مطلقا إحراقه إلى رماد.

وعلى كل حال فإنكم ستجدونه ذات يوم، وأنا أنصحكم بأن لا تفتحوه، لأن له قدرات أخرى غير إحداث مدّ البحر. وعندما لا نعرف حقا سر هذه الأشياء فإن من الأفضل تركها تستريح في سلام تحت غبار الزمن.



أن تعرفوا أسرار الشيطان، هذا يمكن أن يسمح لكم بإجباط دساتسه، غير أن هذا في منتهى الخطورة أيضا. ورئيس دير ليهون لم يكذبني!

ويبدو أنه كان يوجد قديما الكثير من كتب السحر. وبالإضافة إلى هذا كانت فيها نقطة مشتركة؛ فعندما كان المرء يحاول إحراقها، كانت تقفز في النار، وكأنها تريد الخروج منه. أحد هذه الكتب اسمه كتاب الطلاسم الصغير Le Petit Albert، ولكن، صدقوني، من الأفضل ألا تبحثوا فيه. والأشخاص الذين غامروا بقراءته كانوا يختفون ببساطة، دون أن يعرف أحد ماذا كان مصيرهم.

وفي أريافنا، ما يزال القرويون يتحدثون عن الشيطان، وأنتم تعرفون بالتأكيد العديد من الأساطير حول موضوعه. وربما حتى سمعتم أن هناك أفرادا قاموا بتوقيع أحلاف معه. ومع هذا فإنكم لا

تتصورون إلى أى حد كان الشيطان قويا. وكون بعض البشر قبلوا خدمته أمر معقول جدا فى نهاية المطاف، أما أنه كان قادرا على الإخلال بالنظام الطبيعى للأشياء فإن هذا هو ما يبدو خارقا أكثر كثيرا. وكان قد جرى على تعديل ساعة المد وذات يوم ساعد مجرى ماء على الالتحاق بالبحر. وإذا كان الكورسيكيون يرتابون كثيرا فى نهر ليامون، فذلك لأنهم كانوا قد عقدوا قديما اتفاقا مشؤوما مع الشيطان.

وهذه القصة قديمة جدا. كانت كورسيكا قد ظهرت لتوها من الماء. وقد انصرف الجن الذين كانوا قد أعطوا للجبال هينتها. وكانت أهمهم، الطبيعة، قد وجدت نفسها وحيدة وسط البحر المتوسط وأخذت تبكى. ودموعها، التى جرت على منحدرات جبل ريتو، كونت ثلاثة أنهار: الجولو، والتافينيانو، والليامون.

قرر الإخوة الثلاثة أن يذهبوا ليروا البحر، ولأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يلتقوا به بعد ذلك مطلقا، فقد ودعوه، وكان كل واحد منهم يرغب فى أن يكون أول من يصل إلى الهدف المحدد.

ولهذا اتجه جولو وتافينيانو بأسرع ما كان بوسعهما نحو الساحل. أما ليامون، الذى توقف بسبب العديد من العقبات، فقد يتس من الوصول قبل الآخرين. وعندئذ لمح جنيا مجنحا قال له: "أنا الشيطان، وإذا أعطيتى كل عام روحا بشرية، فإننى سأساعدك". قبل ليامون دون تردد، مقتنعا بأن المتنافسين معه لن يتغلبا عليه. أسرع عبر الثغرات التى فتحتها الشيطان، مدفوعا بالرغبة فى كسب الرهان وألقى بنفسه فى البحر فى الحال.

ومنذ ذلك الحين، وخلال قرون كثيرة بعد ذلك، لم ينس ليامون فى يوم من الأيام أن يدفع ضريبتة السنوية.



جنى جبل تان فئين (فئيتنام)

كان هناك قديما، عند سفح جبل تان فئين حطاب شاب اسمه "مين"، عاش وحيدا في كوخ من الأغصان. وفي كل صباح، كان يذلف إلى الغابة، ويقطع الأشجار، ويقوم بتقطيعها إلى أشكال مدورة كان يدرجها حتى النهر. وهنا كان التجار يأتون ليشتروا الخشب الذي كانوا يشحنونه في سفن طويلة ذات أسرع خيزرانية للذهاب بها نحو البحر.

"مين"، الذي لم يعرف سوى الغابة، كان يفكر أحيانا في البحر والبواخر التي يصنعونها بخشبه، ولكنه كان يعرف أن حياته كانت هناك، لأن الحطابين خلقوا للغابة، فلم يعلل نفسه بأى أمل في أن يهبط في يوم من الأيام إلى الساحل.

وذات يوم، قطع شجرة كان جذعها ضخما جدا وكثير العقد جدا، إلى حد أنه احتاج إلى طول النهار لكي يفرغ منه. كانت الشمس قد غربت في ذلك الحين عندما سقطت الشجرة أخيرا بفرقة عنيفة من

الأشواك المهروسة. أخذ "مين" فأسه وعاد إلى مسكنه، عازما على تقطيع الشجرة في صباح اليوم التالي. فقط، عندما عاد بعد ليلة جيدة من الراحة، كانت الشجرة الضخمة واقفة ولم تكن تحمل أى آثار لضربات الفأس. وحدها الأشواك المهروسة أثبتت أن "مين" لم يخطئ الشجرة وأنه لم يكن يحلم.

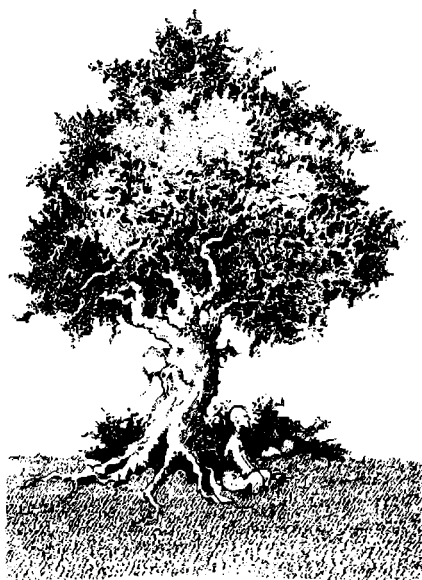
الخطاب الشاب، الذى لم تكن تتقصه الشجاعة، استأنف العمل، وهو فى حيرة من أمره، وقضى نهارا جديدا فى الضرب بالفأس بقوة.

وفى الغسق، سقطت الشجرة، وبعد أن قطع "مين" حوالي مائة خطوة فى اتجاه كوخه تغطى بغطاء وعاد بلا ضوضاء ليختبئ لكى يراقب. ولم يبق متربصا تحت الأدغال منذ ساعة إلا ووصل شيخ مجهول. أخذ الشيخ يلاطف الجذع الراقد، وفى الحال نهضت الشجرة وعادت إلى مكانها. غاضبا ظهر "مين" خارجا من مخبئه وهو يصرخ:

"قل إذن، أيها الشيخ المجنون، من الذى يدفع لك لكى تدمر عملى؟ هل تعتقد أن من الممتع تقطيع نفس الشجرة مرات عديدة؟"

بصوت جميل ولطيف وعميق، أجاب الشيخ "أنا جنى الجبل، وهذه الشجرة كانت صديقتى منذ البداية. إن عمرها أكبر كثيرا مما تعتقد فهي مولودة مع الأرض. إنها مكان راحتى. أنا أعرف أن صنعتك تضطرك إلى قطع الأشجار، لكننى أطلب منك أن تترك هذه الشجرة. وإذا وافقت، سأعطيك هبة عبارة عن عصا سحرية سوف تسمح لك بشفاء أمثالك".

قبل "مين"، وترك الشيخ وشجرته، وذهب إلى أقرب قرية حيث استطاع بلا انتظار أن يجرب عصاه على أربعة مرضى أعطوه مالا أكثر مما كان يكسب من قطع الخشب خلال شهر. وفهم أن الجنى أراد أن يبعده عن غابته، ولكنه قال لنفسه أنه لم يعقد صفقة خاسرة. كان استعمال العصا أقل صعوبة من استعمال الفأس. فكر "مين" من جديد فى البحر الذى لم يره مطلقا، وانطلق يحاذى مجرى النهر حتى مصبه. وفى كل قرية عبرها قام بعلاج عدد من المرضى وكسب ما يعيش عليه بكل سهولة.



ترك "مين" الشيخ تحت شجرته

وعندما وصل إلى شاطئ البحر، رأى أطفالا مسلحين بالعصيّ يهاجمون بضراوة أحد الزواحف الضخمة كان مريضا بالفعل. طرد "مين" الأطفال، وبضربة من عصاه، شفى الثعبان. ووصلت في الوقت المناسب، قال الحيوان الزاحف الذي كانت له عينان سوداوان جميلتان، وإلا كنت ضعت".

- ولكن أية فكرة فى أن يأتى حيوان من البحار ليتتزه على

الشط؟

- لا تؤنبنى، تتهدّ الثعبان. إننى أعرف. كان أبى ينهانى دائما

عن هذا، لكننى أردت أن أرى كيف تسير أحوال الناس. هذا درس
لن أنساه أبدا، يمكنك أن تكون واثقا من هذا.

- كان من حظك أنك لقيت أطفالا. لو أنك لقيت رجلا لكان قتلك

بالتأكيد من أول ضربة.

- اسمع، قال الثعبان، أنا ابن ملك بحار الجنوب. أنت أنقذت

حياتى، هذا عمل يستحق المكافأة. تعال معى، سأقدمك إلى أبى.

تبع "مين" الثعبان حتى قصر ملك بحار الجنوب حيث أقيمت

احتفالات كبرى على شرفه. وقد قبل الاحتفالات وكلمات الشكر، غير

أنه لم يرغب فى الحصول على أى مكافأة. وعندما اقترح عليه الملك

أن يحرسه فى قصره، قال:

"أشكرك، لكننى الآن بعد أن رأيت قاع البحار أرغب فى العثور

على غابتى. فأنا لم أخلق للحياة هنا أكثر مما خلقت للحياة فوق

الجبل".

الملك الذى كان حكيما فهمه جيدا جدا، وعاد "مين" إلى جبل تان

فبين حيث وصل ليشهد نهاية الجنى الشيخ الذى قال له:

"إذا عدت إلى هنا بعد أن تكون رأيت كثيرا من الأشياء، فهذا
يعنى أنك تحب هذه الغابة كما أحببتها أنا نفسى، لأننى عشت نفس
المغامرة مثلك. وسوف يمكننى أن أكسب بكل هدوء مملكة الضياء،
وستكون أنت أيضا حاميا جيدا للجبال والغابات". دفن "مين" الجنى
الشيخ أسفل شجرته، وأخذ مكانه بين أغصان الشجرة. وكان ينزل
منها كل صباح ليعتنى بالمرضى الذين كان الناس يأتون بهم إليه،
لأن سمعته انتشرت فى كل البلاد. وكان الناس يثنون كثيرا على
جماله، وشبابه الدائم، وكرمه، ومقدرته إلى حد أن ملك البلاد ذهب
لرؤيته ذات يوم وعرض عليه يد ابنته للزواج. قبل "مين"، غير أن
ما كان يجهله الجميع هو أن الثعبان الذى صار ملك بحار الجنوب
عند موت أبيه، كان يحب الأميرة الشابة.

تم الزواج على الجبل حيث تواصلت الاحتفالات سبعة أيام وسبع
ليال. نائرا مهتاجا، عبأ الثعبان الأسماك، والسلاحف، والأخطبوطات،
والأصداف، والأمواج، ورياح البحر، لاقتحام الجبل، ومعاينة "مين"،
وخطف زوجته.

وعندئذ شهد الناس معركة لم يعرف العالم مثلها فى يوم من
الأيام. كان البحر كله هو الذى انطلق ليغزو الجبل. الحيوانات،
الأمواج والرياح، المدّ والجزر. والعاصفة، كلها صارت تتكسر على

الغابة. لأنه، منذ لم يعد "مين" خطابا، كبرت الأشجار مرتفعة جدا ومضمومة جدا إلى حد أن جذوعها وأغصانها كانت تشكل متاريس منيعة.

تكسرت آلاف الأمواج عند سفح جبل تان فيين، وكانت كلها عاجزة عن تحطيم الجسور الطبيعية للغابة. وإذا ذهبت ذات يوم إلى هذا البلد العجيب، سوف تكتشف أن الأمواج تواصل دائما هذا الصراع المستميت وسوف ترى أيضا أن "مين" وزوجته يواصلان الحياة في هدوء وحب على قمة جبل أبدى. وحدهم البشر يعكرون أحيانا سلام هذا البلد، غير أن الغابة ستنتهى حقا باستعادة حقوقها. إنها سوف تفرض السلام على البشر كما فرضته على البحر.



قديمًا، كان الناس يتصورون أن الأرض مسكونة بكائنات مرعبة. الأفعوانات، هذه الزواحف العجيبة، كانت تسكن أريافنا،

كانت تقتل المتهورين الذين كانوا يجرؤون على الاقتراب منها. فلماذا كانت أعماق البحار، غير المعروفة جيدا، والمعادية، لا تخفى وحوشا مماثلة؟ وإلى الأخطار التي كان يمثلها البحر، والعواصف، وصخور الشاطئ، أضاف الخيال الشعبي خطرا آخر: الثعابين. وبالنسبة لقدماء البيروفيين، كان لهذه الحيوانات من جهة أخرى أصل؛ كانت مولودة من الماء في لحظة الطوفان الذي غمر الأرض. وكان بعضها يفضل الحياة وسط الناس، والبعض الآخر في المحيطات، مثل هذا الذي يحكى عنه "مين" الحطاب.

وفي الرحلة العجيبة للقديس براندان *Merveilleux voyage de saint Brandan* تشهد مبارزة بين هذه الزواحف الضخمة. أحدها، وكان أقوى من خمسة عشر ثورا، كان يشق الماء بسرعة خارقة، قاذفا النار من فمه.

ومع هذا كانت هذه الحيوانات لا تظهر إلا في الحكايات. وفي 1819، يبدو أن سفينة الصيد سالى Sally، هاجمها ثعبان بحر على سواحل لونج آيلاند. وفي 1848، لمح طاقم سفينة، ديدالوس Daedalus، بدورهم شيئا ما غريبا يقترب بسرعة نحو السفينة. وهذا ما كتبه قبطان الباخرة، في تقرير بتاريخ 11 أكتوبر:

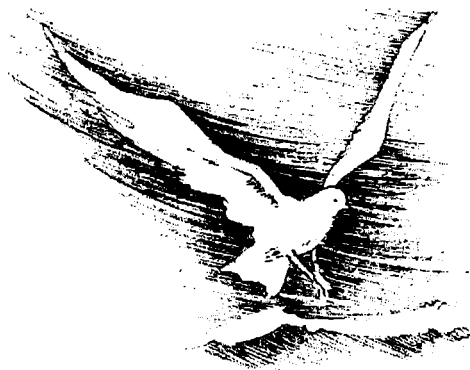
"كان قطر الثعبان من 40 إلى 50 سنتيمترا خلف الرأس، الذى

كان بلا جدال رأس ثعبان...؛ وكان لونه أسمر داكنا، ببياض مائل إلى الصفرة حول العنق . ولم تكن له زعانف؛ ولكن شيئا ما أشبه بعرف حصان، أو بالأحرى بملء حضن من الطحالب، كان يتموج على الظهر".

ودقق، بدوره أحد النقباء البحريين في "ديدالوس" في مذكراته الخاصة: "إنه يعطيك تماما الانطباع بأنه ثعبان ضخّم أو أنقليس ضخّم".

وتحدث بالتأكيد ظواهر غريبة للغاية. فهل كان هؤلاء الناس ضحايا خيالهم أم أنهم رأوا بالفعل حيوانا خرافيا مثل ثعبان البحر؟ ويبقى المحيط مليئا بالأسرار، إذن دعونا نأسرنا حكاياته التي، بدورها، يمكن أحيانا أن تجلب لنا إجابة.





صياد ورق الشجر

(ألبانيا)

ليست حرفة صياد السمك سهلة دائما، وبدون قليل من الحظ يحدث أن هؤلاء العاملين في البحر قلما يتم تعويضهم عن جهودهم. وعلى هذا النحو، وجد أب شجاع لأسرة فى ساحل البحر الأدرىاتىكى، بالقرب من رأس سامانا، كثيرا من الصعوبة فى إطعام أطفاله الخمسة. ولم يكن صيد السمك وفيرا فى يوم من الأيام فى الحقيقة، بل جاءت لحظة بقى فيها عشرة أيام دون أن يجلب أقل قدر من السمك.

"كل هذا ظلم شديد، قال أهل قريته، لأنه كان الأكثر عملا وكان يعرف حرفته أكثر من أى شخص".

كانوا يرثون لحاله كثيرا، ولكن لأن كل الناس كانوا فقراء فإنه لا أحد كان فى وضع يسمح له بأن يقدم له مساعدة. جاع أطفاله ولم تستطع زوجته التى لم تكن صلبة جدا إلا أن تغسل قليلا من البياضات لتكسب ما تشتري به الخبز.

الرجل الشجاع قام بالفعل بحرفة أخرى، غير أنه لم يجد عمالا يستأجرهم. ثم، لأنه أحب البحر، كان يأمل دائما أن ينتهي إلى أن يبدو كريما معه.

وذات يوم فيما كان الملك يمر من هناك، سمع الأطفال يشتكون من الجوع. استعلم وقيل له كم أن صياد السمك هذا الفاضل جدا يعاني من سوء الحظ، وقرر الملك الغنى والطيب أن يساعده.

"أريد أن أعمل شيئا ما من أجلك، قال له، لكنني أتمسك تماما بأن تبقى صياد سمك. ستواصل حرفتك، وفي كل مرة تعود فيها بشيء ما في شبكتك، سوف تأتي لإحضاره على كفة ميزاني. وفي الكفة الأخرى سأضع نفس الوزن من النقود الذهبية، وسيكون هذا الذهب لك".

من جديد، ممثلنا بالشجاعة والأمل، عاد صياد السمك إلى البحر. مضت ثلاثة أيام، ثلاثة أيام وثلاث ليال دون دقيقة واحدة من الراحة. ثلاثة أيام وثلاث ليال من التجديف، وطرح شبكته، وسحبها دون أن يرى ظلا لسمكة.

"لقد حلت بي اللعنة! أخذ ينتحب. سنموت كلنا من الجوع".

عاد صياد السمك منهكا إلى المرسى، ولكن قبل إرساء قاربه، طرح شبكته للمرة الأخيرة، وعندما سحبها، لم يجد فيها سوى ورقة

شجرة بلوط تالفة بالفعل بشدة من الماء المالح. كان على وشك الإلقاء بها عندما قال له أحد رفاقه:

"لماذا لا تجرب أن تحملها إلى الملك؟ إنه لم يتحدث عن السمك، لقد طلب منك أن تحمل إليه كل ما تجلبه لك شبكتك".

- سيتصور أنني أسخر منه، وربما أمر بإلقائي في السجن؟

- لا، لن يفعل هذا. إنه ملك طيب. ثم إنني مستعد تماما للشهادة

بأنك اصطدت بالفعل هذه الورقة.

كان صياد السمك يائسا إلى درجة أنه وضع الورقة في جيبه

ومضى في الطريق إلى القصر الملكي.

عندما رآه الملك يصل بغنيمته، انفجر ضاحكا.

"يا صديقي المسكين، قال، هذه الورقة خفيفة إلى حد أنها لن

تقوم حتى بتحريك شعرة من ذراع ميزانتي. ولكن أخيرا ما دمت قد

جئت حتى هنا لنحاول التجربة على كل حال".

وضع صياد السمك الورقة على الكفة التي سقطت وكأنها محملة

بالرصاص. وبدأ أمين خزانة الملك يضع نقودا ذهبية على الكفة

الأخرى. وبصوت مرتفع، أخذ أحد الكتبة يعدّ.

"قطعة، قطعتان، ثلاث قطع..."



قطعة ، قطعتان ، ثلاث قطع ...

الميزان لم يتحرك مطلقا. وكان يلزمه ستون قطعة ذهبية لكى ترتفع أخيرا الكفة التى توجد فيها الورقة.

انصرف صياد السمك بقطعه الذهبية، نظر الملك، الذى لم يحنث بعهده، إلى الورقة. تم توجيه دعوة إلى كل علماء المملكة إلى القصر حيث أقاموا وقتا طويلا يفحصون ورقة شجر البلوط هذه الغريبة للغاية. وانكبوا على كل التحليلات التى استطاع العلم أن يسمح بها، وفى نهاية المطاف كانوا مضطرين تماما إلى الإقرار بأن هذه الورقة لا تملك أية خصوصية أخرى سوى وزنها.

وبطبيعة الحال فإن صياد السمك الذى صار هناك شك فى أنه ساحر تعرض للتحقيق، غير أن المحققين، الذين كانوا قضاة نزيهين، أعلنوا أنه كان أكثر سذاجة من أن يكون ساحرا.

ولم يعرف هو نفسه شيئا. ولم يكن بوسعه أن يعرف شيئا، لأنه لم تكن لديه ذاكرة تكفى ليتذكر أدنى تفاصيل حياة طفولته.

ومع هذا فإنما فى طفولته الباكرة جدا يرقد سر هذه الورقة. ذلك أن صياد السمك لم يكن إلا فى الثالثة أو الرابعة من عمره عندما قام شغيل، جار لأبيه، بقطع شجرة بلوط صغيرة نبتت على حافة حقله وألقى بها فى الطريق. والنقط الطفل هذه الشجرة الصغيرة جدا وزرعها فى مكان لم يكن يزرع أرضه أحد. وعرفانا بالجميل، انتهزت شجرة البلوط، التى كانت قد كبرت بحرية، هذه المناسبة لتشكر ذلك الذى تدين له بالحياة.

وبطبيعة الحال فلأنها كانت تملك القدرة على تجنب المصير السيئ، قامت بترتيب ألا يسحب صياد السمك من الماء بعد ذلك شبكة فارغة.



يحتفظ البحر أحيانا بالكثير من المفاجآت الكبرى فهو يمكن أن يصنع حظ أتعس التعساء. وعلى هذا النحو هناك هذا الشاب الجزائري، الذي يكتشف فى بطن سمكة، ليس ورقة شجر، بل زجاجة مليئة بالذهب، وفى وقت لاحق، خلال مرة أخرى فى صيد السمك، خاتما كان ينفذ كل الأوامر التى كان يأمره بها. ولا حاجة إلى أن أقول لكم إن هذا الشاب صار غنيا جدا وقويا جدا.

ومن الجلى أن الزجاجاة، والخاتم، وورقة الشجر، كانت تملك قوة سحرية. وفى حكايات عديدة، نشهد ظهور هذه الأشياء، وليس فقط العصا التى لا بد أن تملكها كل جنية، بل أيضا نايات، ومصابيح، وحيوانات. وللحصول عليها أو اكتشافها، لا بد للمرء من أن يكون جديرا بها. وهى عندئذ تحمى البطل من الفقر وتساعد فى التغلب على كل العقبات. شابة رومانية "عانت من سوء الحظ"، مثل صاحبنا صياد السمك الألبانى، جرت حمايتها من حياة بائسة بفضل قطعة من الحرير، سحرية بكل تأكيد. والقصتان من جهة أخرى متقاربتان جدا إحداهما من الأخرى.

ومطرودة من كل البيوت التى حاولت أن تلتجأ إليها حيث كان يبدو أنها تجلب سوء الحظ، فإن ماريا أوتها أخيرا امرأة عجوز. وهذه الحامية غير المتوقعة لم تكن تخشى صديقتها الشابة كثيرا،

لأنها كانت ساحرة إلى حد ما وكانت تستطيع تجنب المصير السيئ.
وكانت ابنة امبراطور البلد المجاور تقوم بالإعداد لزواجها. وقد
صنعوا لها فستانا رائعا من الحرير، غير أنه لوحظ، في عشية
الزفاف، أن الفستان تتقصه قطعة. الساحرة، التي كانت تملك هذه
القصاصه من القماش، قررت أن تساعد محبتها. وأخبرتها أنها
ستبيع النسيج لمن يدفع لها ما يساوي وزنه ذهباً. وذهب خطيب
الأميرة إلى القصر ليبحث عن أكياس عديدة من الذهب.

وبالفعل، وضع على الميزان أولاً دوقية، ثم اثنتين، ثم ثلاثاً،
غير أن قطعة الحرير كانت أثقل في كل مرة. ولم تكف ثلاثة أكياس
من الذهب وكان الملك نفسه مضطراً إلى الصعود بنفسه إلى الكفة
لتحقيق التوازن. وعندما رأت ذلك، اتخذ الأمير الشاب القرار بفسخ
خطوبته والزواج من تلك التي كانت، قديماً، تجلب سوء الحظ، حيث
إن الحرير سيكون ملكاً لها.

ومنذ ذلك اليوم، صارت الفتاة الفقيرة سعيدة جداً، مثل أولئك
الذين كانوا يحيطون بها، ومحضت صداقة عميقة للساحرة العجوز.



الشحاذ الجميل

وروح الآلى

(ألمانيا)

فى جزيرة تقع فى أقصى شمال الجزر الألمانية، عاش صياد سمك شديد الفقر، وعرف طوال حياته كثيرا من المصائب. ماتت زوجته وابنتاه من مرض غامض، ولم يبق له سوى ابن فى حوالى العشرين من عمره. ومنهكا بعمله، أحس الرجل المسنّ بأن الموت يقترب. ابنه، الذى كان جميلا وقويا، لم يرغب فى أن يكون صياد سمك فكان يقضى وقته يشحذ فى القرى.

"هانس، يا بنى، قال صياد السمك ذات مساء، سأترك الدنيا قريبا. ويسبب لى ضيقا شديدا أن أتركك وحيدا على الأرض حيث الحياة شاقة جدا. فأنت لن ترث حتى هذا البيت الذى لا أملكه. وليس عندى أى شيء أتركه لك، بل، على العكس، هناك شيء ما سيطلب منك.

- تكلم، قال هانس. أنت تعرف جيدا، يا أبى، أننى أصلى كل يوم من أجلك، وأننى بعد موتك سأصلى من أجل راحة روحك.

- شكرا لك على صلواتك، يا صغيرى، لكنك تعرف أنه ليس
عندى شيء كبير أحتاج إلى المغفرة عنه. ومع هذا فليس هذا ما أريد
أن أحدثك عنه. لقد اكتشفت، بين صخور شاطئ البحر التى فى
غرب جزيرتنا، جنية بحر أراقبها منذ بعض الوقت. إنها جميلة، ولها
صوت ملئ بالسحر، وبالإضافة إلى هذا، تملك قلائد من اللآلى لم تر
مثلا فى يوم من الأيام. لكنها، عندما تمر سفينة فى البحر فى
منطقتها، تنطلق فى الغناء وتجعل لآلى قلاندها تلمع فى الشمس.
وعندما يسمعها البحارة وصيادو السمك أو يرونها يصيبهم الجنون.
أيضا هذه الكائنة الشريرة مسئولة عن العديد من حوادث غرق السفن
حيث مات كثير من البحارة الشجعان".



عندما يسمع ويرى البحارة وصيادو السمك جنية البحر يصيبهم الجنون

رسم هانس إشارة الصليب. وكان يستمع، خائفاً إلى حد ما من فكرة أنه أمكن أن يتعرض أبوه لخطر كبير إلى هذا الحد دون أن يكشف به أحداً.

"وماذا تريدني أن أفعل، وحدى ضد هذا الوحش؟ سأل هانس.

- ستبدأ بتتبيه كل صيادى السمك وكل البحارة الذين قد يتعرضون لخطر أن يضلوا بالقرب من هذه الصخور. وأنا أوصيك بالاحتراس، لأنه لا أحد يعرف ما الذى تقدر عليه هذه الجنية. ثم، عليك أن تبحث عن طريقة لمنعها من إيذائك".

وعد الابن، وعندما سمع الأب قسمه، أغمض عينيه وغادر

بهدوء عالم الأحزان هذا.

وبمجرد دفن أبيه، بدأ هانس يشحذ من جديد. وفي كل قرية مرّ بها، كان يتوقف طويلاً تحت تمثال للمسيح المصلوب أو داخل كنائس وكان يصلى فى صمت. وسرعان ما عرفه كل سكان الجزيرة. سموه "الشحاذ الجميل" وكانوا يهمسون بأنه مبعوث الله على الأرض.

"أنتم تدركون، هكذا كان يقول الأكثر ورعا الذين كانوا أول من أحبوه، هو يشحذ، هذا واقع فعلى، غير أنه ينشر الكلام الطيب، وينقذ حياة البشر. أنتم ترون، لقد قام بالفعل بتتبيه كل صيادى السمك فى الجزيرة، وهو فى الوقت الحاضر يقضى ليله ونهاره على الشاطئ

لينذر البحارة عن المصائب التى تتربص بهم إذا ذهبوا إلى الصخور الغربية.

- ولكن ماذا هناك إذن، على تلك الصخور الغربية؟ هكذا يسأل الأكثر تشككا.

- لا نعرف. وربما كان الشحاذ الجميل هو الوحيد الذى يعرف.

- أليس من المحتمل أنه يسخر منا؟

- فى كل الأحوال. أنتم تعرفون جيدا أن مئات الأشخاص ماتوا لاقترابهم من هذه الصخور البارزة. أما منذ ظهر الشحاذ الجميل على الساحل فإنه لم تغرق سفينة واحدة".

كانت تلك هى الحقيقة، وانتهى الناس جميعا إلى الإقرار بها.

واستمر هانس فى مهمته، وأعيا بأنه مخلص لإرادة أبيه.

ومع هذا، حدث ذات يوم أن سفينة لم يستطع أن ينبه طاقمها ذهبت وتحطمت على الصخور. وكان على متنها ستة وعشرون ملاحا، ونوتى حدث، وأربعة عشر راكبا، منهم امرأتان وخمسة أطفال. وكان الإحساس بالكارثة أنها مصيبة كبرى، وفكر هانس فى أنه، للصراع مع هذه الجنية بصورة أفضل، لا بد من معرفتها. ولأنه لم يكن يستطيع أن يحيا دون أن ينام أبدا، فإنما على وجه التحديد أثناء نومه حدثت الكارثة.

وبالتالى راح يطوف قريبا جدا من الأماكن التى لمح أبوه الجنية فيها. ولأنه كان شديد الإيمان بالله، لم يشكّ مطلقا فى أنه سوف يستسلم لسحر هذه الكائنة ولا أن تغريه لآئى قلاذاتها، ذلك أنه كان لا يبالى بالثروة.

. بحث دون جدوى أياما وأياما، لم ير الجنية، لكنه، تحت صخرة زحزحها ذات صباح ليرى ما إذا كانت لا تخفى مدخل كهف، اكتشف كتابا ضخما. ولأنه كان لا يعرف القراءة فقد كان سيترك الكتاب بالطبع تحت الصخرة إن لم تتدخل الجنية. وهى ترتجف بشدة من الغضب، تقدمت نحوه زاحفة على الرمال وأخذت تصرخ:
"أرجع إلىّ هذا الكتاب. إنه ملكى. وإذا خطفته فأنت لص
وسوف تعاقب!"

- انظرى هنا، راقب هانس دون أن يفقد هدوءه، ها أنت
تظهرين أخيرا! لابد أن يكون هذا الكتاب قيما جدا فى
الحقيقة حتى تدخلى فى مثل هذا الغضب الشديد.
- هذا الكتاب ملكى. عليك أن ترده إلىّ".

ظلت تصرخ بقوة أكثر فأكثر وبدأت نظرتها الخضراء مزسعة
بآلاف من الشرارات الحمراء.

"لقد قيل لى إنك جميلة وأن البحارة يستسلمون لجمالك وسحر صوتك. إذن، كانت أذواقهم غريبة! ذلك أننى أراك قبيحة جدا وصوتك يصفر كما تفعل أسوأ رياح الشتاء. إن الغضب هو الذى يجعل المرء قبيحا. وأنا أريد أن أخطف هذا الكتاب لكى يزداد غضبك فتصبحين أقبح أكثر".

الجنية ضحكت هازئة بصوت يذكر بصياح غراب البحر ثم قالت، مشيرة إلى قلادات اللآلى التى تلبسها:

"حتى إذا كنت قبيحة، حتى إذا صار صوتى مفزعا، تبقى لى هذه اللآلى لتجذب الرجال... انظر هنا، إن شئت أعطيك قلادتين مقابل هذا الكتاب".

تردد الصبى، لكنه قال لنفسه لايد أن الكتاب أشد خطورة أيضا من اللآلى، خاصة بين يدي هذه الكائنة، وفضل الاحتفاظ به. وابتعد، يلاحقه عويل الوحش.

"ستعاقب، صاحت الجنية. سوف تعانى آلاما بالغة وستموت بإرانتى!".

عند عودته إلى القرية، سأل هانس أين يمكن أن يجد شخصا قادرا على قراءة هذا الكتاب، ودله الناس على فتاة متعلمة للغاية تعيش فى جزيرة صغيرة مجاورة. أخذ فى الحال القارب الصغير

الذى تركه له أبوه، وذهب إلى هذه الجزيرة الصغيرة التى لم يكن يسكنها سوى ثلاث عائلات فقيرة. ولم يجد أى صعوبة فى العثور على هذه الفتاة. كان اسمها "فريدا"، وكانت لطيفة بقدر ما كانت جميلة.

"أنت من يسمونه الشحاذ الجميل، قالت. كثيرا ما حدثونى عنك. أنا أعرف أنك شديد التقوى وأنت تحاول النضال ضد هذه الجنية التى ألحقت كثيرا من الأذى بالبحارة. وكنت أنا خطيبة نوتى مات فى غرق سفينة أحدثته الجنية. ويمكنك الاعتماد علىّ فى مساعدتك".

مدّ هانس يده بالكتاب لـ"فريدا" التى تصفحت بسرعة بعض الصفحات وبدأت فزعة.

"أعتقد بالفعل، قالت بصوت يرتجف قليلا، أن هذا المجلد يحتوى على كل أسرار الجنية. غير أنه مكتوب بلغة معقدة وملينة بالرموز التى ينبغى تفسيرها. إننا نحتاج إلى كثير من الوقت لفك شفرته. وكما ينبغى التصرف مع أكبر الأسرار، أقترح أن تأتى ليلا، كلما كنت وحيدة. ولأجلك تعرف إذا كان يمكنك أن تأتى، سأشعل نارا على الساحل الرملى".

عاد هانس إلى جزيرته، ومنذ الليلة التالية عندما رأى النار، لحق بـ"فريدا".

وكانا يذهبان ليجلسا جنبا إلى جنب داخل صخرتين وعلى ضوء النار، كانت الفتاة تقرأ. وبعد أسبوعين من القراءة، عرفا بعضهما البعض وتحاببا. اعترف كل منهما للآخر بهذا غير أنهما تعاهدا على ألا يتزوجا إلا عندما يكونان قد هزما الجنية.

وبالتالى ظل حبهما خالصا تماما وطاهرا على أكمل وجه. كانا يقرآن، ويتأملان، وقبل أن يفترقا كانا يصليان معا.

وذات مساء، انتظر هانس دون جدوى على الشط، ولم ير ضوء النار يلمع. وبعد منتصف الليل استنتج أن "فريدا" لم تر أن من الحكمة الخروج فى ذلك المساء، فذهبت تمام. غير أن "فريدا" كانت فى انتظاره. كانت قد أشعلت نارها، وإذا كان هانس لم يستطع أن يرى ضوءها فذلك لأن الجنية كانت قد رفعت فى منتصف الطريق بين الجزيرتين ستارا كثيفا من الضباب من البحر.

قلقة بصورة مرعبة، أرادت "فريدا" أن تلتحق بهانس. ولأنها لم تكن تملك قاربا فقد ألقت بنفسها فى الماء وانطلقت تسبح.

هذا ما كانت تتنظره الجنية. لأنه إذا كانت جنيات البحر يصيبهن العجز عندما يكنّ على الأرض فإنهن يملكن فى الماء قوة هائلة. وعندما كانت الفتاة على مسافة عدة أمتار من الصخور حيث

كان ينام هانس، رفعتها موجة قاع هائلة وقذفتها إلى مقدمة شاطئ صخري.

استيقظ هانس بألم شديد ضغط على قلبه. وفهم فى الحال أن كارثة حدثت وانطلق يهيم على وجهه فى الساحل الرملى. بسرعة بالغة، اكتشف جثمان "فريدا" وأخذه بين ذراعيه باكيا.

وتألم وهو يتطلع من بعيد إلى ضوء النار الذى كان يواصل الاشتعال فى الجزيرة التى غادرتها "فريدا". لأن الضباب قد تبدد وكانت الليلة ذات صفاء رائع.

ومع هذا، وبالتدرج، تشوشت رؤية الشحاذ الجميل. هل كان هذا هو الضباب الذى تكوّن من جديد؟ لا، لم يكن ذلك كذلك، بل دموعه التى كانت قد صارت جامدة كالأحجار.

بكى هانس حتى الصباح. وعندما أتى سكان الجزيرة إلى الشط، اكتشفوا صخرة كان لها شكل رجل يأخذ امرأة بين ذراعيه. ومن عيني الرجل كانت تسيل آلاف اللآلى الجميلة الشبيهة باللآلى التى كانت تلبسها جنية البحر.



تستلهم هذه الحكاية حوليات التلميذ المتجول La Chronique de l'écolier itinérant — كليمانس برنتانو Clemens Brentano، حيث يحكى لنا الشاعر تاريخ "روح اللآئى"، جنية البحر هذه التى كانت تجذب البحارة بغنائها مظهرة لهم اللآئى. ملكة جميلة جدا، ولكن متغترسة جدا، كانت لها ابنة عاقبة للغاية. وتزوجت هذه الأخيرة من روح شرير من البحر وأنجبت جنية بحر، روح اللآئى، التى، كما تعرفون، كانت تهلك كثيرا من البحارة.

وكانت جنية البحر تظهر تارة فى صورة شاب وسيم، وتارة أخرى بسمات امرأة. وكانت تحبس سجناءها داخل "آبار المرارة" وهى نوع من حجرة مُعدّة تحت الصخور. ومحرومين من النوم، ومربوطين بالحجر من شعرهم، كان الأسرى يشيخون بسرعة. وكانت أجسامهم تتغطى بالتدرج بالحرارشف، ومن عيونهم كانت تسيل بلا انقطاع دموع كانت تتحول فى الحال إلى لآئى.

وبعد موت "الشحاذ الجميل"، تضاعفت شرور جنية البحر. وإليك، على سبيل المثال، مغامرة فتاتين، من ضحايا روح اللآئى. حلمت ثلاث أخوات بالعثور على لآئى على الشاطئ. توجهن

نحو الشط، وعندئذ سمعن، فى الوقت نفسه، صوت جرس صغير وغناء فى غاية العذوبة. أرادت الصغرى بينهما أن تذهب للتأمل فى المصلى، أما الاثنتان الأخرى فقد أرادت، على العكس، أن تكتشفا مصدر هذا الغناء الرائع. وبالتالي افترقن.

على الشاطئ كان قارب بلا مجاذيف ينتظر الفتاتين. وجالستين بصعوبة فى القارب، جرى حملهما إلى أعلى البحر. وفى الحال، واقفا على صخرة، ظهر أمامهما شاب وسيم. كان الشبح الغامض يغنى بصوت صاف ومتناغم. وبيد أمسك الطيف بقلائد طويلة من اللؤلؤ، وبالأخرى مرجانا. ومأخونتين داخل دوامة، بدأت الفتاتان تصرخان، لكنهما اختفتا فى الأمواج. ومحبوستين، بدورهما، فى قاع "آبار المرارة" كانتا تبكيان دائما بالتأكيد، إلى جانب سجناء آخرين.



ناس قاع البحار (البرازيل)

قريباً جداً من البحر، عاش ميجيل حياة متواضعة، لأنه لم يكن صياد سمك ولم يكن يملك سوى بضعة أفدنة من الأرض كان يزرع فيها الفول. وكان يكدح بجدّ على هذه التربة غير الخصبة مطلقاً، ولم يكن حصاده وفيراً دائماً. غير أنه، من كثرة ما جرف من الطحالب التي جرّها بجهد جهيد من المحيط، وروث الخيل المتجمع على الطريق، نجح في إخصاب التربة العضوية إلى حد أنه في سنة أمطرت فيها السماء كثيراً، بدا حصاده ممتازاً. وكان يذهب كل يوم للعناية بزراعته وهو ينضح، وينتظر متلهفا موسم الجنى.

وجاء هذا الموسم، وعندئذ اكتشف ذات صباح أن نصف محصوله من الفول اختفى أثناء الليل. غضب وثار، وعندما أتى المساء، أخذ عصا ضخمة واختبأ بين شجر كثيف يحيط بالطريق. كان القمر قد اكتمل بدر تمام وكان يسطع على الأرض بنور كوضوح النهار. كان الجو هادئاً، وكان تلاطم الأمواج على الشاطئ القريب هو الضوضاء الوحيدة. وانتظر ميجيل، وهو يقاوم النعاس.

وعند منتصف الليل، رأى امرأة ترتدى ثوبا أبيض طويلا، دخلت أرضه وبدأت جنى المحصول. أسرع الفلاح. وعندما رأته، انطلقت المرأة تجرى نحو الشاطئ، ولكن أعاقها الثوب الطويل وقفة كبيرة لم تشأ أن تتخلى عنها فسقطت على الرمل حيث قام ميغيل بشل حركتها. ودار صراع قصير، كان الرجل قويا وبسرعة لقيت المرأة الهزيمة.

وعندئذ رأى ميغيل أنها كانت شابة جميلة.

"مَنْ أنتِ؟ سأل.

- لن تعرف، قالت بصوت جاف.

- أنتِ لستِ من هذا البلد. لم أركِ أبدا هنا".

لم تجب، وتفحص ميغيل قفتها واكتشف أنها مجدولة من سيقان

طحالب رفيعة جدا.

"من أين أنتِ إذن، لأن قفتك ليست مصنوعة من القش مثل

قفف كل الناس عندنا هنا؟"

ظلت الشابة مترددة طويلا، ثم، عندما رأت أن الفلاح لن

يتركها، انتهت إلى القول:

"اسمى كونسيتا. وأنا من الناس الذين يعيشون في قاع البحار".

كان ميجيل قد سمع الناس يتكلمون عن هؤلاء الناس الغامضين، لكنه كان يرفض دائما تصديق وجودهم. ومضطربا، تذكر المرة التي قالت له أمه فيها ذات يوم:

"بنات قاع البحار لهن عيون لونها أزرق مخضرّ وشفاهن لها طعم الملح".

أجبر ميجيل الشابة على أن تدير نظرتها إلى اتجاه القمر، واستطاع أن يتأكد من أن عينيها كان لهما حقا هذا اللون الجميل الأخضر الذي لا مثيل له. وقبلها. وكان لشفتيها طعم الملح.

لكن هذه القبلة أربكتهما كليهما بعمق، وقبلت كونشيتا الزواج من ميجيل، عندما وعدها بالألا يلعن أهل تحت الماء.

وأنجبت هذه الفتاة الآتية من قاع البحار ثلاثة أطفال لطاف للفلاح الذي كان سعيدا بهم.

ومع هذا، لم يكن من الممكن أن تكون سعادة ميجيل كاملة، لأن زوجته كانت تفكر في زينتها هي أكثر من زينة أطفالها. ولم تكن تعرف كيف تطبخ، وكانت تهمل الغسيل وتنظيف البيت. وكان على الرجل المسكين أن يعتنى بالبيت ويستمر في العمل في غيط الفول.

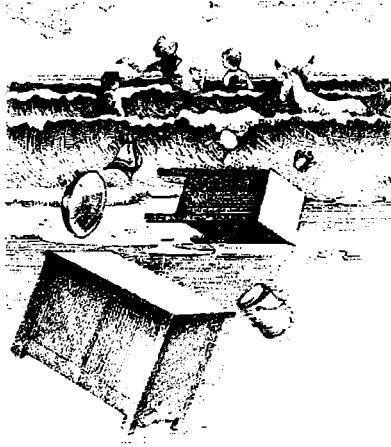
غير أنه، بعد خمس سنوات من الحياة المشتركة، وفي يوم كان ميجيل متعبا فيه بوجه خاص، انفجر غاضبا:

"لا أنتِ أم جيدة ولا أنتِ زوجة جيدة، قال لزوجته. أنا لا أعلم كيف كانت تربيته، لكننى لا أعرف أى بنت من بلدى فى مثل إهمالك وكسلك!

- أنا أحتقر بنات بلدك، صرخت كونشيتا. فى رأى، الناس الوحيدون الذين لهم اعتبار، هم أولئك الذين يعيشون فى قاع الماء!".

اقترب منها ميجيل، وقد أعماه الغضب، قائلاً:
"إن، من ناحيتى، أنا أحتقر ناس تحت الماء. أنا أحتقرهم،
والعنهم!"

وبمجرد أن نطق بهذه الكلمة، تركت كونشيتا البيت. واعتقد ميجيل للحظة أنها ذاهبة لتغضب فى مكان ما. وعندما رأى أطفاله يخرجون وراءها، بدأ يقلق. غير أن قلقه استحال إلى ذهول، عندما أخذ كل شيء يحذو حذو كونشيتا: المنضدة، المقاعد، الموقد، البوفيه، الأسرة، القدور... وأخيراً كل ما كان أثاثاً للبيت.



أخذت المنضدة ، المقاعد ، الموقد ، البوفيه ، الأسرة ، القدور ...

تحنو حذو كونشيتا

خرج الفلاح التعيس ليحاول الإمساك على الأقل ببغله الذى كان يرحل أيضا، وفى تلك اللحظة أخذ المنزل نفسه يتحرك، ونزل نحو البحر.

كان على ميغيل أن يسند ظهره إلى شجرة حتى لا يسقط من شدة ما كانت ساقاه ترتجفان. وكان هذا هو الوضع الذى رأى فيه أسرته وكل ممتلكاته وهى تختفى فى الماء.

ظل التعيس وحيدا، مجردًا من كل شيء. حتى أدوات عمله اختفت وكان على أحد جيرانه أن يقرضه معزقة ليعزق غيطه. ولأنه كان شجاعا فقد استأنف العمل. وكدح كثيرا، ولم يحصد دائما ما كان يستحقه، غير أنه لم يعد يخرج أحد أبدا من المحيط ليأتي ويسرق منه الفول.



في البرازيل، يتكلم الناس كثيرا عن الكائنات التي تعيش تحت الماء. فالأنهار والبحار مأهولة بالمعبودات، أو الجنيات، أو الساحرات، أو فانتات البحر المغويات في كثير من الأحيان. وبالطبع فإن البرازيليين، مثل الشعوب الأخرى، كان يجذبهم هذا العالم المجهول، بهذه الكائنات الخيالية التي كانت تأتي، فيما اعتقدوا، إلى الشواطئ أحيانا. وكانوا يتصورون عندئذ لقاءات وحتى زيجات. ومع هذا، ليس كل الناس أهلا للمشاركة في حياة كائن من قاع المياه. إن ميغيل، بطل هذه الحكاية، مرّ بالتجربة: كان ينبغي عليه ألا "يلعن أبدا أهل تحت الماء". غير أنه لم يستطع أن يفى بوعده وعادت زوجته إلى المحيط. والحكاية اليابانية، صياد السمك ذو

الشباب الدائم تتضمن الفكرة. نفسها كان على أوراشيما، لكي يلحق بزوجته، ألا يفتح الصندوق.

ويروى فلاحو شمال شرق البرازيل القصة التي انتهت من قراءتها لتوك. حكاية أخرى، وتقع أحداثها عند مصب ريو نيجرو، تقدم "يارا"، أي "أم الماء"، ورجلا يقرر، هذه المرة، أن يعيش في عالم آخر.

كان شاب هندي يسير بمحاذاة مجرى النهر، جالسا في قاربه الخشبي، عندما رأى شابة في غاية الجمال، واقفة على الشاطئ، غير بعيد عن شلال صغير، وأخذت تمدّ إليه ذراعها قبل أن تختفي في الماء.

أصبح بطلنا عاشقا ولهان للطف العجيب. عاد إلى أهله، ورفض أن يأكل وأن يتكلم. وطول اليوم، ظل متفرصا أمام كوخه، وظل ينظر حوله شارد الذهن. أمه، قلقة، ألحت عليه بسيل من الأسئلة. وفي النهاية حكى لها مغامرته. مجنونة بالقلق، توسلت إليه الأم المسكينة ألا يعود أبدا إلى شاطئ النهر. فلا بد أنه التقى بـ"يارا"، التي أرادت موته دون شك. ففي البلاد، كانوا يشكون في أنها تخطف الشبان.

ورغم تحذيرات أمه، يعود الصبي في اليوم التالي ويركب قاربه الخشبي. ولم يعد مطلقا. واقتنعت القرية كلها بأنه راح ضحية "يارا". بعد هذا بفترة من الوقت، أبلغ صيادون أنهم شاهدوا، بالقرب من الشلالات، رجلا وامرأة جالسين على الساحل. وكان الزوجان يبدوان سعيدين، ولكن عندما كان أي شخص يحاول الاقتراب منهما، كانا يختفيان في مجرى الماء. ومع هذا، انتهى الصيادون إلى التعرف على الشاب الهندي و"يارا". وغير مصدق أمه، وواتقا بحورية البحر، استحق الشاب أن يعيش معها تحت الماء.



بجع البحر (آيرلندا)

كان داف صبيا صغيرا في الثامنة من عمره أحسن تربيته والداه اللذان لم يكن لديهما سوى هذا الطفل وكانا يعتنيان به عناية فائقة. وكان عاقلا، ومهذبا، ولم يحاول مطلقا أن يبتعد بمفرده عن البيت المبنى على مسافة بضع عشرات من الخطوات من شاطئ جميل من الرمل الناعم. وفي الأيام التي كان البحر فيها هادئا كانا يسمحان لداف بأن يلعب بمفرده على الشاطئ بشرط ألا يتسلق الجسر. لأنه عند نهاية الجسر، كان الماء عميقا وكان الصبي لا يعرف السباحة. وكما قلت منذ قليل، كان داف مطيعا، ومع هذا فإنه، ذات صباح، ذهب إلى نهاية الجسر لأن ثلاث بجعات رائعة وقفن فوق الماء على مسافة عدد من الأذرع من رصيف الحجارة. داف، الذي كان قد عثر في جيبه على كسرة خبز، فتتها وألقى بفئات الخبز إلى البجعات. تقدمت هذه الطيور الكبيرة البيضاء نحوه، وانحنى هو ليداعبهن، ولكن كلما مدّ يده، كانت البجعات يبتعدن. وعلى الأمواج التي كانت تلامس الحجارة المغطاة بالطحالب، كان يطفو لوح خشبي

كبير. داف، الذى نادرا ما كان رأى البحر بكل ذلك الهدوء والسماء بكل ذلك الصفاء، تصور أنه لن يخاطر بشيء إذا تمدد فوق هذا اللوح الخشبى ليقترب من البجعات. غطس يديه فى الماء، وأخذ يقوم بنفس الحركات التى تقوم بها البجعات بأرجلها الشبيهة براحة اليد. وشيئا فشيئا، ودون أن ينتبه إلى ما يحدث، ابتعد اللوح الخشبى عن الساحل.

كل يوم، ودون أن تدع نفسها تلمسه، كانت الطيور تسبح بالقرب منه. بجعة تمضى إلى الأمام، والأخريان إلى اليمين وإلى اليسار. كان ذلك أشبه بلعبة. كانت الأمواج تهددهم بنعومة. والشمس التى كانت حامية ما تزال كانت تغريهم بالمحيط الساكن.



كانت الطيور تسبح بالقرب منه

كان كل شيء يبعث على الاطمئنان. وكان كل شيء مليئا
بصفاء لا حد له أثار الرغبة في الرحيل بعيدا دون اهتمام بالبر
والناس.

لم ينزعج داف بالمسافة التي قطعها حتى أنه انتهى إلى الابتعاد
عن الشاطئ إلى حد أنه اختفى عن عينيه. وعندما أدرك ما حدث،
أراد أن يقوم واقفا على اللوح الخشبي لكي يرى أبعد لكنه فقد
التوازن وسقط في الماء. ولم يكد يملك الوقت للتفكير في والديه وفي
الأيام الجميلة التي قضاها معهما، لأنه كان قد أغمى عليه الآن.

وعندما استعاد الصبى وعيه، فوجئ تماما بأن وجد نفسه في
فراش ناعم مصنوع من زغب ناصع البياض. نظر حوله. الغرفة،
التي كان محاطا فيها بالسكون المطلق، كان لها شباك عالٍ يخل
منهما ضوء دافئ وذهبي جدا. والزينة التي تكسو الجدران كانت
تمثل الآلاف من الطيور، والزهور، والحشرات، المجهولة والجميلة
إلى حد أنها بدت وكأنها وصلت في الحال من الفردوس.
"أنا ميت دون شك، غمغم داف، لكن ما دمت قد عصيت والدي،
فلا بد أنني في الجحيم. وإذا كان الجحيم جميلا إلى هذا الحد، فأنتي
أتساءل لماذا يخاف منه الناس".

وبقى صامتا لحظة، ثم نادى، بصوت قلق قليلا:

"هوه! ألا يوجد أى شخص فى هذا البيت؟".

وفى الحال، انفتح الباب وتقدمت ثلاث شابات جميلات جدا،
يلبسن فساتين بيضاء مثل ريش البجع. إحداهن أخذت مكانها عند
مقدمة السرير، والأخريان إلى اليمين وإلى اليسار.

"عجبا، قال لهن الصبى، أنتن تذكرننى بالبجعات الثلاث اللاتى
صحبتنى فى البحر".

إذ إنه لاحظ أنهن يشبهن الطيور الثلاثة بهيئة الرأس الملىء
بالكبرياء وبطريقتها فى النظر.

"لا تشغل نفسك بمن نكون، قالت التى كانت عند مقدمة السرير.
فقط كن مطمئنا إلى أننا لا نريد لك أى شرّ. وإذا عدت إلى بيتك بعد
هذا الغياب الطويل، لا شك فى أن والديك سيعاقبانك بقسوة. ولهذا
يمكنك أن تبقى هنا. سوف نعتى بك، وسوف نقدم لك لعبًا لم ير
مثلها صبى مطلقا، لكنك يجب أن تعلم أنك، إذا بقيت أكثر من ثلاثة
أيام، سيكون من المستحيل عليك أن تعود إلى البر لأنك لن تستطيع
أبدا أن تتحمل لا الريح ولا الشمس".

قبل أن يجد داف الوقت للتفكير، غطت الشابات الثلاث سريره
بهدايا رائعة. كانت هناك لعب من كل الأنواع، وفواكه غريبة جدا،

وزهور، وبونبون، وبصورة خاصة آلات ذاتية الحركة كانت تعزف الموسيقى وترقص من تلقاء نفسها.

اعتقد داف أنه في مملكة الجنيات الطيبات، ومذهولا بكل هذا القدر من الهدايا، قال دون تفكير:

"ليست عندي أى رغبة فى أن أترككن".

ابتسمت السيدات البيض الثلاث ابتسامة عريضة، وتعانقت بحنان وأخذن يلعبن معه. لعبن وقتا طويلا، ثم جعلنه يزور المسكن الذى كان قصرا جميلا مليئا تماما بالألعاب أخرى مذهشة أكثر أيضا من تلك التى كانت الشابات قد أحضرنها إلى الحجرة.

كان هناك الكثير والكثير من العجائب فى هذا المكان الرائع كالأحلام، إلى حد أن داف لم يلاحظ مطلقا أن الوقت يمر. وكلما كان يكبر، كانت السيدات البيض الثلاث يقدمن له ألعابا أخرى. وكانت هذه الألعاب فى وقت واحد ممتعة جدا ومفيدة جدا إلى حد أن داف، عندما بلغ العشرين من عمره، كان شابا جميلا صار بالفعل واسع المعرفة.

وفى ذلك الحين أنتت لزيارة القصر ابنة ملك واسع الثراء وقعت فى حبه وطلبت يده من السيدات البيض. وهؤلاء رددن عليها بأن داف حر ويمكنه أن يتخذ قراره بنفسه.

"ليست عندي أى رغبة فى أن أتزوجك، قال داف للأميرة. أنا لا أحبك، وثروة أبك لا تهمنى".

الأميرة التى لم يكن يجرؤ أحد مطلقا على أن يرفض لها طلبا أصيبت بغیظ شديد. وبلهجة غاضبة، صرخت فى السيدات البيض:
"ما دام الأمر كذلك، سيغضب أبى غضبا شديدا وأنا أنذركن
بنهاية مفزعة لكنّ وللشخص الذى تحت حمايتكن".

وبمجرد أن اختفت بعد أن صفقت باب القصر الثقيل، سألت السيدات البيض داف عن سبب رفضه لطلب زواج كهذا.
"قلت لها السبب، أجاب داف. أنا لا أحب هذه الأميرة. وعلى كل حال، غضبها يثبت أنني محق فى رفضى. من ذا الذى يمكن أن يكون سعيدا مع امرأة مزعجة إلى هذا الحد؟"

سكت لحظة، ثم أضاف بصوت لطيف جدا:
"وبالأخص، أنتن طبيبات جدا معى إلى حدّ أننى لا أحسنّ بأى رغبة فى أن أترککن".

السيدات الثلاث تبادلن نظرة توهمّ الصبى أنه رأى فيها عبور فرحة كبرى مشوبة بالحزن. ومرّت لحظة صمت ثقيل جدا، ثم أعلنت إحداهن:

"طيب، يا داف، نحن تأثرنا بمودتك. غير أنك تعبت اليوم.
ستشرب العشب المغلى وتستريح".

شرب الصبى العشب المغلى الذى كان له طعم الطحالب
البحرية، وفى نفس اللحظة غرق فى نوم عميق.

عندما استيقظ، وجد نفسه فى بيت والديه اللذين، برغم أنه كان
قد تغير كثيرا، عرفاه فى الحال. وفى الخارج، كانت الريح تعوى.
ولابد أن السماء غضبت، فمن حجرته سمع داف الأمواج الضخمة
تتكسر على الشاطئ وتطرق على الجسر.

"ابنى المسكين، قالت الأم، أنت وصلت إلينا قبل هذه العاصفة
الرهيبية مباشرة. وجدناك على الشاطئ، بجوار لوح خشبى لابد أنك
كنت متعلقا به".

فى تلك اللحظة، كانت هناك موجة قوية جدا إلى حد أن زبد
الموج كان يأتى ليسوط الزجاج. قالت الأم للأب:

ينبغى أن تذهب وتغلق المضراعين. لكن افعل هذا من الخارج،
لأنك إذا فتحت الشباك، فإن زجاج الشباك سيتعرض للتحطم".

خرج الأب وعاد بعد هذا بلحظة، مرتجفا من رأسه إلى قدميه.

"لم أر شيئا شبيها بهذا مطلقا، قال. يقال إن آلهة المحيط غاضبة غضبا شديدا. حتى طيور البحر لا تستطيع أن تقاوم. فالأمواج أتت إلى أمام بيتنا بثلاث بجعات بيض جميلات قتلتهن العاصفة".
 "هيا، قالت الأم، لندع داف يستريح، ألاحظ أن الضوء يتعبه".
 وخرج الوالدان وهما يحملان المصباح. وضع داف يده على عينيه، لكن ليس بسبب الضوء، بل كان ذلك فقط لكي يخفى دموعه.



داف، الأيرلندي الصغير، ألقى بفتات الخبز إلى البجعات، وداعبهن، وكوفئ على هذا. وفي الحكايات الأسطورية، تكون المبادلات بين البر والمحيط كثيرة الوقوع. وكثيرين كانوا أولئك الذين قاموا بزيارة سكان تحت الماء. ولهذا، كان يكفي أن يكون المرء طيبا، وبوجه خاص مع الحيوانات، لأن هذه الأخيرة كانت تخفى في كثير من الأحيان كائنات ذات نفوذ. ومع هذا، كان بعضهم

يقوم بالرحلة ضد إرادتهم. وعندئذ يتعلق الأمر بحالات خطف حقيقية. وهذا هو ما حدث لشابة من مقاطعة بريتانى قبلت، فى وقت لاحق، أن تعيش نهائيا تحت الماء.

عاشت مونا، وكانت ابنة صياد سمك فقير، فى جزيرة صغيرة وكانت تقضى وقتها فى البحث عن المحار. وكانت مونا على قدر كبير من الجمال. وكانت تحظى بإعجاب صديقاتها، وبالأخص بإعجاب أمير البحار الذى كان قد لمخها عدة مرات على الشاطئ. واعتزم الأمير أن يخطفها ويقتادها تحت الماء إلى مسكنه، ولم يكن هذا بالشىء السهل، لأن الشابة لم تكن تذهب لتصطاد السمك بمفردها. ومع هذا تحققت رغبته ذات يوم. فعندما ابتعدت مونا عن رفيقاتها، انقض عليها الأمير وجذبها إلى البحر، برغم صرخاتها وتوسلاتها.

ومنذ ذلك اليوم، عاشت بطلتنا فى قصر من المرجان. وقد تزوجت خاطفها، لأنه أحبها حبا عميقا وبدا عطوفا عليها. ومع هذا، فبرغم ثراء رفيقها ورغم كرمه، كانت مونا قلقة. كانت تود أن ترى مرة أخرى أباه وأماها وكذلك كوخهما الفقير. كانت تعيش جدا وكانت تبكى بلا انقطاع.

وأمام حزنها الشديد، عرض عليها زوجها أن يرافقها إلى أهلها.

وطلب منها أن تعطيه وعدا بأنها لن تعانق، فى البر، أى رجل.
وافقت مونا، لأنها لم ترد أن تؤلم زوجها. وسافرا على هذا الأساس.
وفى الجزيرة، أسرع مونا إلى بيت والديها، بينما كان الأمير
ينتظرها على الشاطئ.

عند لقائه بابنته، ألقى صياد السمك العجوز بنفسه بين ذراعيها
وعانقها. وفى تلك اللحظة، نسيت مونا كل حياتها السابقة بجوار
أسرتها. وذات ليلة، سمعت أنينا وراء بابها. ذكرها صوت بوعدا
القديم. خرجت. وعادت إليها الذاكرة عندما رأت زوجها الذى كان
يئن. وعندئذ، اندفعت نحوه، ولم يرها أحد بعد ذلك مطلقا فى البلد.

مدينة تحت الماء

(هولندا)

كان هذا فى ذلك الزمن الذى أخذت فيه هولندا (بلاد الأراضى المنخفضة) تجفف أولى أراضىها المنخفضة المستصلحة من البحر، لتتنزع منه مراعى واسعة لتربية الماشية. وعلى الأراضى التى تم اكتسابها بهذه الطريقة، بُنيت مدينة نسي التاريخ اسمها. وكانت تشقى قنوات، وتحيط بها طواحين هواء تدور مراوحها مع الريح لتقذف إلى البحر بالماء الذى يحاول دوماً، بمكر، عن طريق التسرب، أن يمرّ تحت السدود ليستعيد من الناس الأرض التى لا قوا الكثير من العناء فى سبيل اكتسابها. وفى هذه البلاد التى يكون فيها مستوى الأرض فى كثير من الأحيان أكثر انخفاضاً من مستوى المحيطات، يدور صراع دائم، ويغدو على السكان أن يتحالفوا باستمرار مع الريح ليحتفظوا بأقدامهم غير مبتلة. ولكن، لأن السدود بناها أناس يعرفون ما هى القوة الكبرى للبحار، فإنه يمكن أن يعيش الناس مطمئنين، وهم يشعرون بأنهم آمنون. ومع ذلك، فإنه فى كل مرة

يغزو فيها بحر الشمال هائجا، يرتجف النساء والرجال بالليل والنهار
ويظنون يراقبون السدود.

والحقيقة أنه، فى ذلك الزمن، كان الخوف أكبر منه اليوم، لأنه،
مذ بناء السدود، لم تشهد البلاد مطلقا عاصفة قوية جدا. وقد تم بناء
المدينة فى عشرين سنة تقريبا، وفيها وُلِدَ أطفال أخذوا يكبرون وهم
يلعبون على ضفاف القنوات. وهم وحدهم الذين عاشوا فى حالة من
اللامبالاة، وفى كثير من الأحيان كانوا يتسلقون على الجسر ليتطلعوا
إلى البحر.

غير أنه، فى يوم من أيام الخريف، حدث أن هبت رياح البحر
قوية إلى حد أنه تكونت أمواج هائلة. وبدا أن هذه الرياح، التى كانت
أعلى من المنازل، تصل من أعماق الأفق حيث كانت تضغط سُحْب
سوداء كثيفة. ومثل قطيع من بهائم تهزّ عضلاتها اللامعة، زحفت
السُحْب أيضا فى اتجاه البحر.

وفى منتصف النهار، وخاصة عندما وصلت السُحْب إلى
المدينة، صارت البلاد كلها غارقة فى الليل.

خرج الناس إلى الشوارع ليروا ما كان يحدث، ولكن كان عليهم
أن يعودوا إلى منازلهم فى الحال، لأن السماء انشقت فجأة، وأخذت
تصبّ مطرا غزيرا ظلت الريح تضربه بسياطها بلا توقف.

ومن منازلهم، ورغم هدير وابل المطر وعواء العواصف، سمع سكان المدينة المرتعبون ضربات الأمواج المتزايدة الغضب وهى تنطح الجسر فترتفع أصداؤها المدوية.

- "ضِعْنَا!

- اِحْمَنَا، يارب!

- هذه نهاية العالم!".

النساء بكين وبكى الأطفال. سجد آخرون وأخذوا يُصلون.

وعندما رأى الناس القنوات تفيض والمياه تغمر شيئا فشيئا قطع الأرض الأكثر انخفاضا أخذوا يصعدون فوق الأثاث فى طوابق البيوت وفوق مخازن الغلال.

ومع هذا فإن "بيبي" و"جريسيلدا"، اللذين كانا طفلين فى السادسة والسابعة، أخذوا يلعبان فى ساحة الكاتدرائية فى اللحظة التى بدأ فيها سقوط المطر الغزير. ولأن منزل والديهما كان يقع فى حى بعيد جدا، قررا أن يدخلوا الكاتدرائية لينتظرا بداخلها فترة يهدأ فيها المطر. ولأن مصابيح زيت كثيرة كانت تضىء، لم ينتبه الطفلان كثيرا إلى الظلام الذى أغرق المدينة. اتجهت أنظارهما إلى التماثيل المنحوتة على الأعمدة وأعجبهما تمثال العذراء حاملة يسوع الطفل، وأعجبتهما

تمائيل قديسين كثيرين لم يعرفهم الطفلان غير أن وجوههم المبتسمة طمأنتهما.

مرت ساعتان، وظل المطر يسقط بلا انقطاع. والريح التي كانت تتذمر وهي تمرّ بالمزاريب وقمم برج الأجراس ظلت تعوى دون توقف، ولكن لأن الجدران والقباب كانت متينة، بدا أنه لا يمكن أن يحدث شيء خطير.

ومع هذا، ففي لحظة معينة، حدثت رجّة قوية، وكان الأرض أخذت تهتزّ. وبعد هذا مباشرة، غطت ضجة سيول على ضجة العاصفة. نظر الطفلان إلى بعضهما وأنصتا مرة أخرى والتقط سمعهما استغاثات وصرخات.

قال ييبّي، وكان أكبرهما سنا: "كان ينبغي أن نرى ما الذي يحدث. ربما كان الجسر قد تحطم".

وبينما كانا يقتربان من الرواق، رأى الطفلان المياه القذرة ترعى وتزبد وهي تمرّ تحت البوابة الخشبية. وقبل أن يكون بوسعهما الوصول إلى المدخل، غطت المياه الأرض وواصلت الارتفاع.

قال يبيّ، وهو يجذب جريسيلدا التي كانت ترتجف: "ينبغي أن نعثر على سلم برج الأجراس. تعالى، تعالى، بسرعة، وإلا فإننا سنغرق".

عندئذ كانت المياه قد وصلت إلى مستوى ارتفاع رُكب الطفلين. وأخذت المقاعد الخشبية تطفو، وهي تتصادم وترتطم بالأعمدة. وجد الطفلان السلم وراء المذبح، وخائفين قليلا من الظلام، وهما يتحسّسان درجات السلم المبتلة ويتعثران عليها، بدأ الطفلان يصعدان. وتسلقا وقتا طويلا قبل أن يصلا إلى السطح. كان قد هداً المطر والريح. وكانت السماء قد صارت أقلّ تلبُّداً بالغيوم فسمحت بأن يتسلل ضوء شاحب. اقترب الطفلان من الحاجز الحجري ووقفا على أصابع الأقدام لرؤية المدينة. وعندئذ فقط استولى عليهما الرعب فجأة.

لأن المدينة كانت قد اختفت.

المدينة والأراضي المجاورة. الأراضي والقنوات، القنوات والجسور.

لا شيء! لم يعد هناك شيء سوى المدى الشاسع للمياه حيث الأمواج المتلاطمة التي كانت ما تزال قوية تركض هائجة نحو الكاتدرائية التي كانت لم تعد أكثر من صخرة ضائعة في البحر.



الأمواج المتلاطمة تركض هائجة نحو الكاتدرائية

وكان قد حلّ المساء. أحسّا به في الضوء الأرجواني الفاتح
الذي ألقى ظلّالا على تلك الخضرة الباردة والمظلمة للمياه.
تنهدت جريسيلا: "يا إلهي! نحن الآن مهجوران وحدنا. لا بد أن
الناس كلهم هربوا. ووالدانا لم يجدانا. لا بد أنهما يعتقدان أننا متنا
فرحلا مع الآخرين".

استغاثا، غير أن صرخاتهما ضاعت في ذلك المدى الشاسع. استغاثا طويلا، ثم إنهما، مرتجفين ومنهكين، رقا على البلاط البارد وناما. في الصباح التالي، كانت الشمس هي التي أيقظتهما من نومهما. وكان كل ما حولهما هو البحر الهادئ الذي كان يشع في الشمس، متموجا بالكاد بأمواج صغيرة.

طاف الطفلان حول السطح. وحامت حولهما طيور النورس وزمّج البحر، وهي تلامس الماء، لكنهما لم يريا أى أثر للمدينة. كل ما هناك أنه كانت تطفو، هنا وهناك، بقايا يتقاذفها المدّ والجزر. أثاثات محطمة، وباب، وزجاجات فارغة، وحشائش، وقش. الطفلان اللذان أيقنا أنهما صارا متروكين وحدهما، أخذا بيكيان من جديد، عند منتصف ذلك الصباح مرت باخرة في عرض البحر. أخذا يصرخان ورفع بيبي قميصه ليلوح به على طرف نراعه كإشارة استغاثة. وفي الحال، طويت أشرعة الباخرة، وألقيت المراسي، وتم إنزال قارب إنقاذ إلى البحر. وانطلق البحارة يبحثون عن الطفلين واتجه المركب إلى أقرب ميناء.

وعندما انتشر الخبر، اتجهت إلى تلك المواقع زوارق عديدة لتحاول النقاط ناجين آخرين، غير أن المنقذين لم يتمكنوا مطلقا من العثور على موقع المدينة. وعندما اقتلعت الأمواج الكاتدرائية من أساسها تهدمت وانهارت ولم يعد وجود لأى أثر مرئى لهذه المدينة التي كانت قد بُنيت على الأراضي المنخفضة المستصلحة من البحر. وكان الناجيان الوحيدان في الحقيقة هما بيبي وجريسيلدا، وقد آواهما أولاد عمّ لهما كانوا يعيشون في قرية بعيدة عن البحر.

ولم يعد هناك أحد تقريبا يتحدث عن المدينة المختفية، غير أنه يحدث لبعض البحارة الذين تدفع بهم عواصف عاتية إلى تلك النواحي أن يسمعوا، وسط صخب البحر والريح، الصرخات اليائسة لسكانها، الذين جرفهم غضب البحر في سالف العصر والآوان.



يجب على سكان هولندا (بلاد الأراضى المنخفضة) أن يناضلوا بصورة متواصلة ضد الماء. ويقع جانب كبير من أراضى هذه البلاد تحت مستوى البحر ويصير من الواجب أيضا تشييد جسور ضخمة للنضال ضد الفيضانات. فليس من المدهش إذن أن نلتقى فى الحكايات الهولندية بثيمة (موضوع) المدن التى ابتلعها البحر. إنه موضوع نلقاه فى بلدان عديدة، لكن فى مظهر مختلف بعض الشيء. ويبدو أن مدنا كثيرة قد اختفت نتيجة لسوء تصرف سكانها، أو للنجاة من خطر وشيك. وكانت هذه هى حالة "كينيج" فى روسيا، أو حالة "زيج" فى سويسرا، والأساطير وحدها تتيح لنا ألا ننسى أسماءها. وفى بريطانيا، كانت توجد قديما مدينة، اسمها "وايس"، جرفتها المياه. وإليك قصتها. منذ زمن طويل جدا، التقى "جرادلون" ملك "كيمبر وكورنول"، على الشاطئ بامرأة تلبس الدروع. ولم تكن تلك امرأة أخرى سوى

"مالجفين"، ملكة الشمال. وتزوجا وصارت لهما ابنة، "داهوت".
وذاث يوم، أحسّت "مالجفين" بقرب موتها فطلبت من زوجها أن
يذهب بها إلى الشاطئ ويلقى بجثمانها إلى البحر. وأطاع "جرادلون"
يأسا. وقام بمفرده بتربية ابنته.

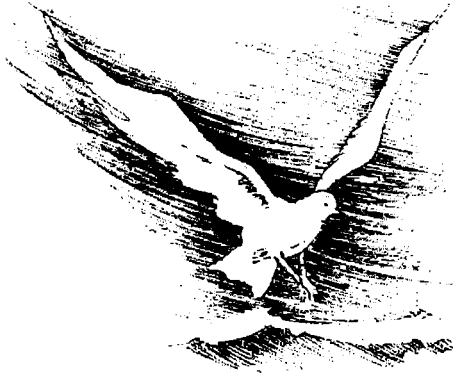
وعندما بلغت "داهوت" السادسة عشرة من عمرها، صارت
حزينة وعبرت عن أمنيتها أن تعيش قبالة البحر. ولم يجروا أبوها
على الرفض. وبنى لها مدينة رائعة على ساحل المحيط، أحيطت
بجسر بالغ الارتفاع لحمايتها. وكانت تلك المدينة تسمى "وايس".

ولم تعرف المدينة الحزن مطلقا. لم تعرف "داهوت" سوى
الولائم والأعياد، ولم تذهب مطلقا للاستغراق في التأمل في مُصلّى
أو في كنيسة لسبب بسيط هو أن المدينة لم يكن بها شيء من هذا.

ومع هذا، حدثت ضجة مرعبة ذات مساء. هبّت الريح واندفع
البحر الهائج عبر شقوق الأسوار. وابتلع البحر المدينة. ولم تجد
"داهوت" وسكان المدينة وقتا للهرب؛ واختفى الجميع تحت الأمواج.

ويقول بعضهم إن الشابة تم تحويلها إلى جنينة من جنيات البحر،
وإنها، عندما يأتي المساء، تخرج إلى الساحل وتمشط شعرها الطويل
الأشقر الذهبى.





شيخ البحر

(سيبيريا)

تبدأ هذه القصة بعيدا جدا عن البحر، فى قرية صغيرة اسمها كامانتشانكا. وكانت هذه القرية تقع على ارتفاع ثمانمائة متر تقريبا عن سطح البحر، ومع هذا، عاش سكانها جميعا على صيد السمك لأن النهر، الذى كان فى سرعة سيل، كان يجرف مياهها نقية إلى حد أن أعدادا لا تحصى من الأسماك الآتية من بحر أوخوتسك كانت تندفع نحو منبع النهر فوق سيوله السريعة بلا توقف.

هناك ولد ذات يوم صبى ترك رضيعا على جزيرة صغيرة قاحلة. التقطه وآواه صيادون سمعوه يبكى وأطلقوا عليه اسم نازروم. فاجأ نازروم العالم كله لأنه، خلال بضعة أسابيع، صار فى قمة رجل. وفى الشهر الثالث من عمره، صار أقوى وأذكى شباب المنطقة. كان الناس يتطلعون إليه بذهول، ولكنهم أحبوه كثيرا لأنه كان لطيفا ومجداً فى عمله. أحبوه إلى أن جاء يوم اختفى فيه السمك فجأة. لم يعد هناك سمك يعيش فى مياه النهر، وبقيت الشباك فارغة. وأدى هذا فى الحال إلى مجاعة، وبدأ الناس يحكون أن نازروم هو

الذى جلب اللعنة على القرية. وتحدث بعضهم عن قتله، ورغب آخرون فى طرده، وكان أبوه بالتبنى، المسكين پليتون، قلقا. "يجب أن تختفى إلى أن يعود السمك"، قال لنازروم. أجاب الصبى بهدوء شديد: "إذا اختفى السمك فهذا لأن تايينادز، شيخ البحر، قد نام. ولن يعود السمك إلا عندما يستيقظ". حك پليتون لحيته. وهذا ما جعله يبدو غريبا تماما! "ومتى سيستيقظ؟"

- عندما سندهب لإيقاظه، قال الصبى.

- ومنَ إذن سيذهب لإيقاظه؟

- أنا، إن كنتَ ترغب..

- ولكن أين هو؟

- فى مكان ما فى جزيرة فى بحر أوخوتسك.

- وهل تعلم أين تلك الجزيرة؟

لا، قال نازروم، ولكننى سأجدها".

وعندما ازدادت القرية تهديدا، ترك الصياد العجوز ابنه بالتبنى يسافر وبدأ يصلى فى انتظار عودته.

سار نازروم بمحاذاة ضفة النهر حتى البحر. سار ثلاثة أيام
وثلاث ليال ، وعندما وصل إلى الساحل، منهكا، نام على رمال
الشاطئ.

وقبل الفجر مباشرة، أيقظه شبان كانوا يتكلمون، دون أن يهتموا
بوجوده، عن تايينادز وكأنه سيدهم.

"يمكننا أن نرقص ونتسلى فى سلام، كانوا يقولون، فهو ليس
على وشك الاستيقاظ".

رقصوا طول اليوم، ثم انتهى أحدهم إلى القول:

"على كل حال، علينا أن نذهب لرؤية ما إذا كان ما يزال نائمًا".

وأراد بعضهم أن يبقوا أكثر؛ وكان هناك جدال، غير أن ذلك
الذى اقترح العودة انتهى إلى إقناع أصدقائه، وجرت كل الجماعة
المرحة نحو الساحل. دون أن يتردد، نهض نازروم ودخل الماء
خلف المجهولين. ولأن نازروم كان صبيا لا يمكن أن يدهشه شيء
بدا له من الطبيعي جدا أن يرى هؤلاء الشبان يتحولون إلى نوع من
الدلافين الكبيرة حالما يلمسهم الموج. ركب نازروم الموج أقوى من
الجميع وترك له نفسه ليحمله.



ركب نازروم الموج أقوى من الجميع

استغرقت الرحلة عدة ساعات فقط؛ وحينما وصلوا إلى الجزيرة، استعادت الدلافين صورتها البشرية وتوجه الشبان إلى منزل مبنى من قشور الأسماك ومن الصدف.

وفيما كان الشبان ينظرون بخوف من خلال النافذة ليروا ما إذا كان شيخ البحار ما يزال نائما، دخل نازروم إلى المنزل.

كان تاييناندر يشخر بصوت مرتفع جدا، ممددا على جلد دُبّ.
ودون أى تحفظ، هزه الصبى وصاح به:

"ألا تخجل من النوم بينما يموت صيادو سمك الأنهار من
الجوع! إذن، هل هذه هى الطريقة التى تقوم بها بعملك؟".

استيقظ العجوز مذعورا، وفرك عينيه، وغطس رأسه فى حوض
ماء مجمد، ونفض جسمه وانتهى إلى استعادة وعيه. وعندما أخبره
الصبى أنه ظل نائما منذ أيام عديدة، انفجر الشيخ فى غضب شديد
وصرخ:

"لابد أن هذه الدلافين الكسولة هى التى صبت منوما فى نبيذى.
وأثناء نومى، استمتعوا بوقت طيب. ساكرليبه، سرعان ما سنرى من
هو سيد البحار!".

وبعد أن قال هذا، أمسك بسوطه وخرج إلى العتبة وهو يفرقع
عذبة السوط وصرخ:

"إلى العمل، يا عصابة الكسلى! اذهبوا واضربوا الأمواج حتى
يصعد السمك من جديد فى اتجاه منابع الأنهار. اذهبوا، أسرع من
هذا! أنتم لا تخجلون!".

لم يكذب ينتهى إلا وكانت الدلافين قد غطست بالفعل واختفت.

"شكرا، قال الصبى. ولكنك طردتهم كلهم، وأنا، من الذى سيعيدنى إلى الساحل؟".

بدأ الشيخ يضحك خفية.

"أنت، انطلق الشيخ. أنت ستعود على القدمين.

- على القدمين؟ قال نازروم وألقى نظرة قلقة نحو البحر

الذى كان يلمع على مدى البصر.

- أئى نعم، قال الشيخ".

وبحركة هائلة من ذراعيه رسم قوس قزح كانت إحدى قدميه

تقف على الجزيرة والأخرى بجوار القرية التى كان قد سافر منها

نازروم.

عندئذ، تسلق نازروم إلى أعلى المنحنى الذى انزلق منه ببطء،

مفرشحا رجليه على القوس الضوئى الهائل.

وأترككم تتخيلون دهشة صيادى السمك عندما راوه يهبط على

هذا النحو من السماء. وأترككم أيضا تتخيلون ابتهاجهم عندما

استداروا نحو النهر حيث وجدوا الأسماك تعود إليه بأعداد كبيرة إلى

حد أنه كان عليهم أن يزيّدوا متانة الشباك.

وصار يُحتفل بنازروم. فقد أصبح سيد البلاد، وأعتقد تماما أنه

صار كذلك دائما لأنه، منذ ذلك الزمن، لم يعد شيخ البحر ينام أبدا.



كل شعوب العالم تخيلت كائنات مثل "شيخ البحر". ولأنهم كانوا ملوكا أقوياء فقد كانوا موضوع إجلال عميق.

الإغريق، الذين نعرف عنهم صفات البحارة، كانوا يكرمون بصورة خاصة پوزيدون، سيد البحر الأبيض المتوسط. وكان يحكم العاصفة ويملك في قاع المياه قصرا رائعا. وكان يخرج منه أحيانا ويظهر على السطح في مركبة من الذهب، ممسكا في يده بشوكة ثلاثية.

ويتكلم سكان نيچيريا أيضا عن شخصية من هذه الشخصيات: أل'-أوكون. وكان يعيش في قصر تحت الماء محاطا بجلساء عديدين، وكانوا مخلوقات بشرية أو مخلوقات أشبه بالأسماك. وذات يوم تحدى سيد البحر الإله نفسه، لكنكم تتصورون جيدا من الذى خسر. ومنذ ذلك الحين، لم يعد أل'-أوكون يشغل سوى المرتبة الثانية بين الآلهة، مباشرة بعد الخالق.

وعند الإسكيمو، تُحكى قصة تشبه بشدة قصة شيخ البحر. ففى قديم الزمان كانت امرأة، هى "أمّ الماء" تحكم المحيطات. وكانت هى التى توزع الطعام على الرجال. ولم تكن دائما ذات شخصية سهلة؛ وأيضاً، من أجل إرضائها، كان ينبغى تقديم قرابين لها.

وذات يوم، كانت تنتشر مجاعة كبرى فى إجدلوليك ومات كثير من الناس جوعاً. واجتمع سكان القرية فى منزل لإعداد الهبات المخصصة لأمّ الماء. وأعلن رجل عندئذ أنه يريد الهبوط مع الهدايا. وكان عليه أن يلح طويلاً لأن أصدقاءه، مندهشين بمثل هذا الاقتراح، حاولوا أن يمنعوه. وأخيراً حصل على الحق فى الاختفاء تحت جلود وفى الرحيل. وعندما صار مختفياً تماماً، جرى إلقاء الحِزم فى البحر.

وصل الرجل فى حالة جيدة إلى أمّ الماء، غير أن الناس لم يعرفوا أبداً ماذا قالوا لبعضهما فى ذلك اليوم. ومهما كان من أمر فإنه لم تعد هناك مجاعة، وكان سكان إجدلوليك سعداء من جديد. وبعد ذلك بوقت طويل، أدركوا أن من أنقذهم كان ساحراً. وأخذوا بالتالى يرسلون دائماً سحرة إلى جوار أمّ الماء، ذلك أنهم كانوا بحاجة إلى مساعدتها.

المؤلف فى سطور

برنار كلاڤيل Bernard Clavel

ولد فى لونس-لو-سونيه Lons-le-Saunier فى عام 1923، وكان يحلم منذ أيام المدرسة الابتدائية بدخول الفنون الجميلة؛ غير أنه كان فى البداية حلوانيا مبتدئا وكان عليه أن يمارس فى سبيل لقمة العيش المهن الأكثر تنوعا، ولم يمنعه هذا من التصوير بالألوان ولا من الكتابة أيضا. ومن الكتابة جاء نجاحه. وفى 1968، حصل، بصورة متلاحقة، على جائزة جونكور، وجائزة جان ماسيه، والجائزة الأدبية الكبرى لمدينة باريس. وقد كتب برنار كلاڤيل قصائد، ومقالات، وقصص أطفال، وقرابة ثلاثين رواية، تم إخراج العديد منها فى التليفزيون.

المترجم فى سطور

خليل كلفت

كاتب ومترجم مصرى، كتب العديد من مقالات النقد الأدبى فى النصف الثانى من الستينيات وبداية السبعينيات صدرت مؤخرًا بعنوان "خطوات فى النقد الأدبى". وفى النصف الثانى من السبعينيات كتب (باسم قلم) العديد من المقالات والكتب فى مختلف مجالات السياسة المصرية والعربية والعالمية. يعمل منذ بداية الثمانينيات فى مجال إعداد المعاجم والترجمة عن الإنجليزية والفرنسية حيث ترجم العديد من الكتب فى مجالات الأدب والنقد الأدبى والسياسة والفكر.

وفى مجال كتب الناشئة والأطفال: كان المحرر والمستشار

اللغوى لمعجم Elias Illustrated Junior Dictionary,

English-Arabic الصادر عن دار إلياس العصرية للطباعة والنشر

(عام 1999) وهو من إعداد كارين جلاسجو وإيفا إلياس، كما ترجم

كتبًا أخرى صدرت عن نفس الدار وهى: دينو، الديناصور تأليف: أنا

ماريا روميرو يبرا (عن الإسبانية)؛ ومالك الغابة تأليف: ميكيل

باربيردى (عن الإسبانية)؛ وتيمور والتعبيرات تأليف: آنى جروفى

(عن الفرنسية بالاشتراك مع هويدا نور الدين).

المصحح اللغوى : عبد الوهاب الصاوى
الإشراف الفنى : حسن كامل

أساطير البحر

"في بلاد الأساطير يسافر الملك سوران غوصاً
في البحر داخل صندوق زجاجي، ويلعب سمك
قرش مع الأطفال، والرجال يتزوجون من بنات
البحر.

لكن احترس من جنيات البحر الغيورة، ومن عجول
البحر التي تنتقم لنفسها، ومن أشباح المدن التي
طواها جوف البحر، ومن الحوت الجنرال بجيشه
من الأسماك.